١٠٠ قصة

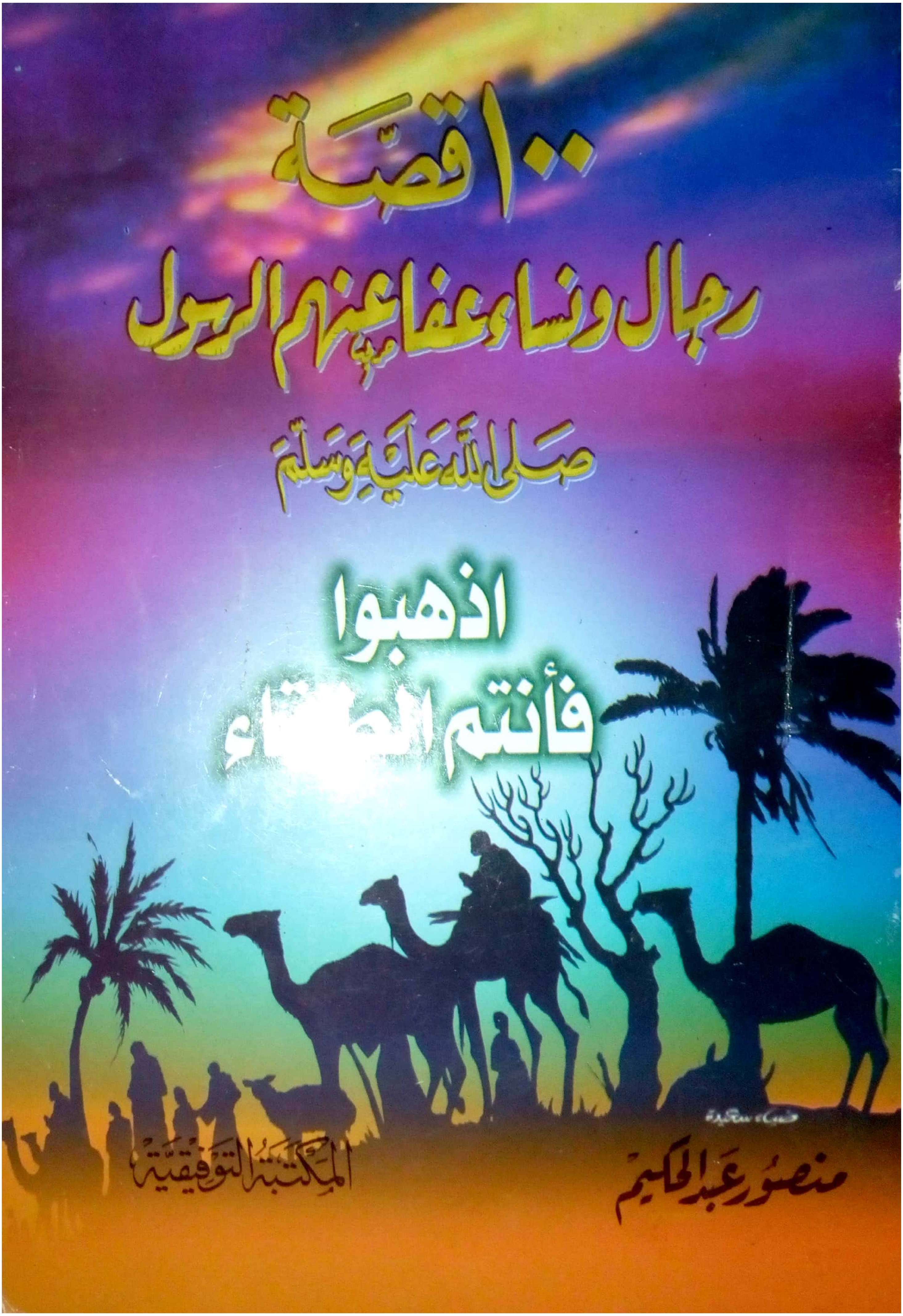
رجال ونساء عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم

اذهبوا فأنتم الطلقاء



منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية


١٠٠ قصة
رجال ونساء عفا عنهم الرسول
صلى الله عليه وسلم
اذهبوا
فأنتم الطلقاء
المكتبة التوفيقية
منصور عبد الحكيم

١٠٠ قصة

رجال ونساء عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم

منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

المكتبة التوفيقية

القاهرة – مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ – ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel. : (٠٠٢٠٢) ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠
Fax : ٦٨٤٧٩٥٧

إشراف

توفيق شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

سورة القصص: (٥٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده.. أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، لك الحمد والشكر والفضل كله... نحمدك ربنا ونستغفرك ونستعينك ونستهديك؛ ونعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، أنت العفو الكريم، صاحب المغفرة، وأنت على كل شيء قدير، مجيب دعوة المضطرين، تقبل التوبة من العصاة المذنبين، وتعين على الطاعة، تعفو عن كثير، نسألك يا ربنا العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.. نشهد أنه لا إله إلا أنت ولا خالق سواك.. سبحانك تقدس اسمك.. أنت القدوس.. وأنت الغفور.. وأنت الرحيم.. لك الحمد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وحده، قيوم السموات والأرض، هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى.

وأشهد أن محمدﷺ نبيه ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، إمام المتقين والدعاة إلى الله، أرسله ربه على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحي، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، فتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، صل اللهم وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد..

فلقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وبدأ الدعوة في عشيرته الأقربين سرًا ثم جهرًا،

وعاداه من عاداه من قومه، وآمن بعضهم وكتم البعض إسلامه خوفًا من بطش القوم ومنهم من حانت له الفرصة لإظهار إسلامه مثل العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، ومنهم من بقى على عداوته للنبي ﷺ ومحاربته للدين الذي أرسل به، ومات على تلك العداوة من صناديد الشرك والكفر بقريش، ومنهم من غال في عداوة الرسول ﷺ فهلك ومات على الكفر.

ومنهم من استمر على عداوته للإسلام ونبي الإسلام ﷺ في فتح مكة، وقد أهدر الرسول ﷺ دمه حتى أمر بقتله ولو تعلق بأستار الكعبة.

ومنهم من طلب العفو من رسول الله ﷺ وتشفع له بعض المسلمين، فأمنه الرسول ﷺ وعفا عنه، وحسن إسلامه، بل ومات شهيدًا في ساحات الجهاد في سبيل الله.

ومن هؤلاء الذين عفا عنهم الرسول ﷺ وحسن إسلامهم وكانت لهم مواقف مشهودة في الإسلام نسلط الضوء على بعضهم كي نتعرف على سيرتهم قبل الإسلام وبعد الإسلام، أي وهم كفار يحاربون الله ورسوله ثم بعد أن هداهم الله للإسلام والعفو عنهم من الله ورسوله وجهادهم لنصرة هذا الدين والذود عنه، حتى مات بعضهم شهداء في الحرب ضد أعداء الله.. وسبحان الله مغير القلوب وهادي النفوس **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾**[1].

وإذا كان العفو من شيم الكرام، فقد كان عفو رسول الله ﷺ نجاة من النار لأصحاب العفو الذي كانوا على شفا الوقوع فيها، وكان عفوه عليهم إنقاذًا لهم من العذاب المهين في الآخرة، وصلاح لهم في دنياهم وأخراهم.

وهكذا كان الرسول ﷺ المثل والقدوة للمسلمين في العفو والصفح عند المقدرة وليس عن ضعف، والعفو يكون عند المقدرة وليس عند الضعف.. هكذا كان عفو رسولنا ﷺ.

(١) سورة القصص: ٥٦.

ونسأل الله العون والرشاد والتوفيق والسداد، وأن يتقبل عملنا هذا وسائر أعمالنا الآخرة، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه غير خزايا ولا ندامى ولا مبدلين إنه نعم المولى ونعم المجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.. آمين.

كان الفراغ من الكتاب
في ١٣ صفر ١٤٢١هـ
الموافق ١٧ مايو ٢٠٠٠م
بالقاهرة ج . م . ع

المؤلف
منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل
المحامي
ت: ٣٢٨١٨٢١
القاهرة

(١) سهيل بن عمرو رضي الله عنه

- خطيب قريش في الجاهلية.
- نائب قريش في صلح الحديبية.
- أسره المسلمون يوم بدر.
- عفا عنه الرسول ﷺ
- أسلم يوم الفتح.
- قام خطيبًا عند وفاة الرسول ﷺ بمكة ودافع عن دين الله ضد من حاول الردة من أهل مكة.

(١) سهيل بن عمرو رضي الله عنه

هو سهل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن ابن لؤى بن غالب بن فهر العامري القرشي[١].

عادى الإسلام ورسول الإسلام.. فقد كان خطيب قريش وأحد فصحائها، له من القوة ومن المنعة في قومه ما جعله سيدًا مطاعًا.

تأخر إسلامه في يوم الفتح كما سيأتي..

مواقفه قبل إسلامه

اشترك مع جيش الكفر يوم بدر الكبرى مع قريش، بل كان أحد الخطباء الذين حضوا على النفير والقتال بمكة فقال لقومه محفزًا إياهم على قتال المسلمين:

يا آل غالب! أتاركون أنتم محمدًا والصبأة يأخذون عيركم؟.. من أراد مالاً. فهذا مال، ومن أراد القوة، فهذه القوة.

ويوم بدر يوم التقى الجمعان.. انتصر جند الله وحزبه على جيش الكفر والشرك.. وقتل من قتل من صناديد الشرك..

وأسر من أهل الكفر أكثر من أربعين رجلاً[٢].

وحين سأل رسول الله ﷺ غلامًا لبنى العاص بن سعيد يوم بدر وقبل المعركة وهما يسقيان لقريش فقال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش، قال: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام وزمعة

---

(١) الذهبي سير أعلام النبلاء.

(٢) السيرة لابن هشام.

ابن الأسود، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمر ابن عبدود..

فقال رسول الله ﷺ : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.

وهكذا عدَّ الرسول ﷺ سهيل بن عمرو من أشراف القوم وعليتهم، وقد قتل أكثرهم في المعركة بأيدي المسلمين والملائكة الكرام، وأسر سهيل بن عمرو، وقد أسره الصحابي مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف.

عمر بن الخطاب وسهيل

حين أسر سهيل في غزوة بدر وكان خطيبًا مفوهًا لقريش يؤذي بلسانه دين الله ورسوله ﷺ، أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كف أذى سهيل وقد أمكن الله منه وذلك بخلع أسنانه الأمامية فلا يستطيع الخطابة ويلدغ في كلامه ولكن الرسول ﷺ رفض اقتراح عمر بن الخطاب.

وقال له: لا أُمثل به فيمثل الله بي ولو كنت نبيًا.. إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه[1].

وقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ كما سنعرف فيما بعد حين أسلم سهيل في فتح مكة ودفاعه عن الإسلام عند وفاة الرسول ﷺ بمكة.

سهيل وأم المؤمنين سودة رضي الله عنها

كان للسيدة سودة بنت زمعة -رضي الله عنها- زوجة رسول الله ﷺ

---

(١) ذكر ابن إسحاق في السيرة: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهل بن عمرو، يدلغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا. فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به فيمثل الله بي ولو كنت نبيًا.. عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه.

والحديث رواه محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤى قوم سهيل بن عمرو. وقال ابن كثير حديث مرسل بل معضل.

موقفًا مع سهيل بن عمرو حين رأته في الأسر وقد قيد بالحبال ويداه قد جمعت إلى عنقه، أشفقت عليه ووبخته وقالت له: ألا متم كرامًا!!

وتروى كتب السيرة والتاريخ ذلك المشهد والذي ذكره ابن إسحاق في السيرة وتابعه ابن كثير في التاريخ.. عن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال:

قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، قال: تقول سودة: والله إني لعندهم إذ أتينا، فقيل هؤلاء الأسارى قد أتي بهم، قالت - سودة - فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا بأبي يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، قالت:-

- أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، ألا متم كرامًا؟

وأفاقت سودة على قول رسول الله ﷺ لها:-

يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين.

قالت:

- يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد - سهيل - مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت.

فداء سهيل من الأسر

أول أسير تم فداءه من قريش هو أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، جاء في طلب فداءه ابنه تاجرًا ذا مال، ففداه بأربعة آلاف درهم.

ثم جاء من قريش مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وبعد أن فاوض الذي أسر سهيل قال للمسلمين اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله، حتى يبعث إليكم بفدائه.

وبالفعل حلى المسلمون سبيل سهيل بن عمرو بعد أن اتفقوا على فدائه، وحبسوا مكانه مكرز بن حفص، وانطلق سهيل إلى مكة وأحضر ما اتفق عليه وعاد إلى المدينة وفك ضامنه مكرز وانطلقا عائدين إلى مكة.. وهكذا نجا سهيل من القتل في غزوة بدر الكبرى، ومن التمثيل به ولكنه ظل على عداوته للإسلام.

سهيل وإسلام أبنائه

من العجيب أن سهيل بن عمرو رغم عدواته للإسلام منذ البداية إلا أن ابنه عبد الله وأبو جندل واسمه العاص قد أسلما، وكذلك ابنته سهيلة أيضًا.

وقد وقف سهيل ضد إسلام أبنائه، فمنع أبا جندل من الهجرة إلى المدينة وعذبه وحبسه وقيده في الأغلال حتى استطاع الهرب في يوم الحديبية كما سنعلم.

وأما ابنه عبد الله فقد أسلم وكتم إسلامه وخرج مع جيش الكفار في غزوة بدر الكبرى وهو يكتم إسلامه وحين التقى الجمعان انضم إلى معسكر المسلمين وقاتل معهم ؓ وله غزوات ومواقف في التاريخ الإسلامي، ونال الشهادة في حرب اليمامة وعمره ثمان وثلاثون سنة(١).

وابنته أم كلثوم أسلمت قديمًا بمكة وبايعت الرسول ﷺ، وزوجها الصحابي أبي سبرة بن أبي رهم من السابقين للإسلام وقد هاجرا معًا إلى الحبشة.

وسهلة بنت سهيل أسلمت بمكة مع زوجها الصحابي أبي حذيفة بن عتبة ابن ربيعة وهما من السابقين الأولين وقد استشهد يوم اليمامة، وهما من المهاجرين إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة.

ورغم إسلام عائلة سهيل إلا أنه ظل معاندًا يتابع علية القوم في محاربتهم للإسلام، واشترك معهم في حروبهم حتى كان يوم الحديبية فكان رسول قريش

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي وقيل أنه من السابقين الأولين وهاجر إلى الحبشة «الإصابة».

إلى رسول الله ﷺ، نائبًا عنهم في عقد الصلح كما سنعرف.

سهيل بن عمرو وصلح الحديبية

في العام السادس من الهجرة النبوية في شهر ذي القعدة خرج الرسول ﷺ ومعه أصحابه لأداء العمرة وأخذ معه الهدى واستنفر العرب من حوله من أهل البوادي ليخرجوا معه حتى لا تظن قريش أنه جاء لحرب فيصدوه عن البيت الحرام.

وخرج مع الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار وبعض الأعراب ما يقرب من ألف وأربعمائة رجل وامرأة(١)، ومعه سبعون بدنة هديًا للكعبة وللنسك.

واستمرت المسيرة المباركة حتى وصلت إلى منطقة عسفان قبل مكة المكرمة، وهناك لقى بشر بن سفيان الكعبي رسول الله ﷺ فقال له:-

- يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم.

فقال له رسول الله ﷺ :-

- يا ويح قريش!! قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش!! فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد به السالفة.

وقال الرسول ﷺ لمن معه:-

- من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها.

فقام رجل من أسلم فقال: أنا يا رسول الله، وسلك بهم طريقًا وعرا منقطع

(١) ذكره ابن كثير عن جابر ؓ.

الوادي.. وقال لهم رسول الله ﷺ يهون عليهم وعث السفر والطريق:-

- قولوا نستغفر الله ونتوب إليه.

فقالوا ذلك جميعًا.

ونزل المسلمون الحديبية وهى منطقة أسفل مكة، ولما رأت خيل قريش أن المسلمين خالفوا عن طريقهم رجعوا إلى مكة، وسار ركب الرسول ﷺ إلى ثنية المرار حتى بركت الناقة فقال الناس: - خلأت.

فقال لهم الرسول ﷺ :

- ما خلأت وما هو بخلقها ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها.

ثم قال للناس انزلوا.

وحين قال الناس للرسول ﷺ ليس في الوادي ماء، أخرج سهمًا من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قليب ففرزه في جوفه فجاش الماء فيه وسقى الناس منه(١).

وفي الحديبية ظل الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين ينتظرون أمر قريش، فأتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرًا معتمرًا معظمًا للبيت الحرام.

ثم قال لهم ما قاله لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا:

- يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، وإن محمدًا لم يأت لقتال إنما جاء زائرًا لهذا البيت ولكن قريش أصرت على عنادها وقالوا:

- وإن جاء لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب.

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير في تاريخه والصحابي الذي أخذ السهم هو ناجية بن جندب سائق الهدي لرسول الله ﷺ .

ثم أرسلت قريش مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤى، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا رجل غادر. وقال له ما قاله لمن سبقه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قاله رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا بحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان سيد قومه الأحابيش وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه الرسول ﷺ قال:

- إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه.

أي أن الرسول ﷺ علم أنه من قوم يقدسون العبادة والنسك، فأمر أصحابه أن يظهروا له الهدى الذي ساقوه معهم في حملتهم للزيارة حتى يتأكد له أنهم جاءوا للعبادة والعمرة، فيعظم ذلك عنده.

وبالفعل حين رأي حليس بن علقمة الهدي أمامه وقد أكل أوباره القلائد من طول حبسه في مكانه، لم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأي وعاد إلى قريش، وأخبرهم بما رأى وشاهد، فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك.

وغضب الحليس بن علقمة من قول قريش له وقال لهم:

- ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظمًا له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد.

قالوا له: -

- مه .. كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم بعثوا إلى الرسول ﷺ عروة بن مسعود الثقفي.. فقال لقريش:-

- يا معشر قريش.. إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي.

قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم.

فخرج عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال:-

- يا محمد أجمعت الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم، إنهم قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عنوة أبدًا، وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا.

قال له أبو بكر الصديق ﷺ وكان خلف الرسول ﷺ :

- أمصص بظر اللات.. أنحن ننكشف عنه!

فقال له عروة بن مسعود:-

- من هذا يا محمد؟

قال له الرسول ﷺ :

- هذا ابن أبي قحافة.

قال عروة: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهذه.

ثم أخذ عروة بن مسعود يكلم الرسول ﷺ وجعل يتناول لحيته وهو يكلمه، وكان المغيرة بن شعبة ﷺ واقف على رأس رسول الله ﷺ يلبس الحديد وهو لباس الحرب وفي يده السيف، فجعل يضرب يد عروة بن مسعود إذا أراد أن يمسك لحية الرسول ﷺ ويقول له:

- اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك.

وكان عروة بن مسعود عم المغيرة بن شعبة، ولم يعرفه عروة لأنه لباس الحرب قد غطى وجهه وجسده كله، فقال له:

- ويحك ما أفظك وأغلظك.

فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة:

- من هذا يا محمد؟!

قال له الرسول ﷺ : هذا ابن أخيك، المغيرة بن شعبة.

قال عروة: - أي غُدر وهل غسلت سوأتك بالأمس[1].

وكلم الرسول الله ﷺ عروة بن مسعود بنحو ما كلم سابقيه الذين أرسلتهم إليه قريش!

وقد رأى عروة بن مسعود شدة حب الصحابة للرسول ﷺ ، فرأى أنه ما بصق بصاقًا إلا ابتدروه في أيديهم يمسحون به وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعره إلا أخذوها ولا يتوضأ وضوءًا إلى ابتدوره وتنافسوا على أخذه وتوزيعه بينهم، فعاد عروة إلى قريش فقال لهم:-

- يا معشر قريش.. إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكًا في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا فأروا رأيكم.

ودعا الرسول ﷺ خراش بن أمية الخزاعي وبعثه إلى قريش وحمله على بعير له يقال له الثعلب كي يبلغ أشراف قريش أنه جاء زائرًا للبيت ولم يأت لقتال أو حرب، ولكن قريش عقروا البعير وأرادوا قتل خراش بن أمية إلا أن الأحابيش منعوهم وخلوا سبيله حتى رجع إلى الرسول ﷺ .

وأرسلت قريش أربعون رجلاً منهم كي يستطلعوا أمر معسكر المسلمين، وأسرهم المسلمون ولكن الرسول ﷺ عفا عنهم.

وأرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان ﷺ لما له من قرابة ورحم عندهم، كي يخبرهم أن الرسول ﷺ وصحبه إنما جاء للزيارة والاعتمار معظمًا للبيت،

---

(١) السيرة لابن هشام وابن كثير في التاريخ وكان المغيرة بن شعبة قتل جماعة من حلفاء قومه قبل إسلامه ثم أتى النبي ﷺ فأسلم وتحمل عمه عروة بن مسعود سداد دياتهم لقومهم لذلك قال له: أي غدر...

وذهب عثمان بن عفان ﷺ إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ:

وحمله على بعيره إلى قريش حتى أتى أبا سفيان بن حرب وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ، فقالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال عثمان بن عفان لهم: - ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ.

واحتبست قريش عند ذلك عفان بن عثمان ﷺ، وبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ والمسلمون أن عثمان ﷺ قد قتله قريش، فقال رسول الله ﷺ:

- لا نبرح حتى نناجز القوم.

ودعا الرسول ﷺ المسلمون إلى البيعة على الموت، وبايعه المسلمون كلهم إلا الجد بن قيس وهو أحد المنافقين اختبأ بأبط ناقته واستتر عن الناس، وكانت البيعة تحت الشجرة.

وسميت بيعة الرضوان التي رضي الله عنها وعن الذين بايعوا، قال تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾**(١).

وقال ﷺ عن تلك البيعة:

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»(٢).

ثم جاء الخبر الصحيح أن عثمان بن عفان لم تقتله قريش.

وأخيرًا أرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ كي يعقد صلحًا معه بشرط ألا يدخل مكة في عامه هذا ويأتي في العام المقبل حتى لا تقول العرب أنه دخلها عنوة.. وذهب سهيل إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ

(١) سورة الفتح: (١٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه الترمذي في المناقب.

قال لأصحابه:

- سَهُل أمركم.

ولما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فقال سهيل: - هات أكتب بيننا وبينكم كتابًا.

فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

قال سهيل بن عمرو:

- أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم. كما كنت تكتب.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ:

- اكتب باسمك اللهم

ثم قال ﷺ:-

- هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ..

فقال سهيل:

- والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله.

فقال النبي ﷺ:

- والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله. على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به.

فقال سهيل:

والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة - أي عنوة - ولكن ذلك من العام المقبل.

فكتب ذلك الشرط، ثم قال سهيل:

- وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟

وبينما هم كذلك يكتبون الصلح إذ دخل عليهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو وهو يرسف في قيوده، فقد حبسه أبوه سهيل بن عمرو في مكة وعذبه حتى لا يهاجر إلى الرسول ﷺ ويرده عن الإسلام، واستطاع أن يهرب من محبسه وهو في قيوده إلى المسلمين في الحديبية وقت كتابة الصلح، ورمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ :-

- هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلينا.

فقال له الرسول ﷺ :

- إنا لم نقضِ الكتاب بعد.

قال سهيل:-

- فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدًا.

قال له النبي ﷺ :

- فأجزه لي.

قال سهيل: ما أنا بمجيزه لك.

قال الرسول ﷺ :

- بلى فافعل.

قال: ما أنا بفاعل.

ورده الرسول ﷺ إلى سهيل، فقال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما: ألا ترون ما قد لقيت؟

وجاء عمر بن الخطاب ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: ألست نبي الله حقًا؟

قال: بلى.

قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال الرسول ﷺ : بلى

قال عمر: فلم نعطي الدَّنية في ديننا إذن؟

قال له الرسول ﷺ :

- إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قال عمر: - أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال ﷺ : بلى، فأخبرتك أنّا نأتيه العام؟

قال عمر: لا-

قال ﷺ : فإنك آتيه ومطوف به. وذهب عمر بن الخطاب إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما-، فقال له: يا أبا بكر. أليس هذا نبي الله حقًا؟

قال أبو بكر: بلى.

قال له عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال أبو بكر: بلى.

قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال أبو بكر: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق.

قال عمر: أليس كان يحدثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال أبو بكر: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟

قال عمر: لا.

فقال له أبو بكر: فإنك آتيه ومطوف به.

وقال عمر بعد ذلك، وبعد الصلح:-

- فعملت لذلك أعمالاً.

أي كفرَّ عمر بن الخطاب عن اعتراضه في ذلك اليوم بالأعمال الصالحة الكثيرة توبة منه.

ولما فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح، قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا.

وهذا العمل لانتهاء أمر العمرة وعدم الإمكان من فعلها لأنهم أحصروا، وكي يفكوا إحرامهم ويتحللوا.. ولم يتحرك منهم أحد، فكرر القول ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد، ودخل الرسول ﷺ على زوجته أم سلمة -رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت له:

- يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحد منهم كلمة حتى تنحر بُدنة، وتدعو حالقك فيحلقك.

وبالفعل خرج الرسول الله ﷺ ولم يكلم أحد ونحر الهدي، ودعا حالقه فحلق رأسه، فلما رأى الناس ذلك فعلوا مثلما فعل الرسول ﷺ :

وانتهت أزمة الحديبية على خير وسلام، وكانت بمثابة الفتح والنصر للمسلمين وليس كما ظنوا أن شروطها مجحفة لهم(١).

وأما عن شرط رد الذين أسلموا إلى المشركين، فقد نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ...﴾.. فلم يأذن الله برد النساء اللائي أسلمن إلى المشركين.. وبقي شرط الرد على الرجال.. ولم يمض القليل حتى رجعت قريش عن هذا الشرط وأرسلت إلى رسول الله ﷺ تناشده الرحمه ألا يرد من جاءه مسلمًا إليهم والسبب أن الرسول ﷺ حين رد أبا جندل بن سهيل بن عمرو يوم الحديبية إلى أبيه سهيل هرب أبو جندل من قريش إلى ساحل البحر، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى

(١) القصة بطولها ذكرها البخاري في الصحيح كتاب الشروط برقم ٢٣٣١-٢٧٣٢ وذكرها أصحاب السير والتاريخ مثل ابن كثير وابن إسحاق وذكرناها هنا بتصرف يسير.

أبي بصير الذي هاجر إلى المدينة مسلما، وطلبت قريش رده تنفيذا لنصوص المعاهدة، فرده الرسول ﷺ، ولكنه هرب من قريش، وعسكر بساحل البحر، واجتمع مع أبي جندل وأبي بصير رجال آخرون من الذين أسلموا من قريش، وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى اشتد الأذى بقريش من جراء ذلك، فأرسلت إلى الرسول ﷺ بإلغاء هذا الشرط طواعية.. ونزل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ...﴾(١).

إسلام سهيل يوم الفتح

ظل سهيل بن عمرو على شركه وعداوته للإسلام حتى أنه يوم الفتح الأكبر شارك في القتال ضد جيش المسلمين، فتروى كتب السيرة أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ؓ بدخول مكة هو ومن معه من الجيش من أسفل مكة من منطقة تسمى «الليط» وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها من قبائل العرب المسلمين أسلم وسليم وغفار ومُزينة وغيرهم.

وفي منطقة تسمى «**الخندمة**» تصدى صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وأناسًا من أهل مكة لقتال المسلمين، ودارت مناوشات بين آخر معاقل الكفر بمكة وجيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وانتصر عليهم خالد وفرق جمعهم وقتل منهم قريب من اثنى عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً وقيل في ذلك شعر يروى للرعاش الهذلي وأيضًا لحماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يقول فيه:

إنك لو شهدت يوم الخندمة ... إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة ... واستقبلتهم بالسيوف المُسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ... ضربًا فلا يسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

(١) سورة الفتح: ٢٤-٢٦.

وقتل من المسلمين كرز بن جابر وحنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم من خزاعة.

وهكذا انتهت آخر محاولات المشركين في الصد عن سبيل الله، ولم يلق رسول الله ﷺ قتالاً عند دخوله مكة إلا من هذا الجانب الذي دخل منه خالد ابن الوليد رضي الله عنه.

وهرب عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية خارج مكة ولكنهما عادا وأسلما وحاربا مع المسلمين كما سنعرف حين نتعرض لسيرتهما إن شاء الله تعالى.

وبعد تلك الواقعة أسلم سهيل بن عمرو وحسن إسلامه وبايع الرسول ﷺ

قال الزبير بن بكار: كان سهيل بعد كثير الصلاة والصوم والصدقة خرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا(١).

وهكذا انضم سهيل بن عمرو إلى عائلته التي أسلمت قبله.

وكان رضي الله عنه كثير البكاء إذا سمع القرآن بعد إسلامه..

دفاعه عن الإسلام عند وفاة الرسول ﷺ

ظل سهيل بن عمرو بعد إسلامه يدافع عن دين الله، ويخرج مع جيش الإسلام في غزواته، وكان له مقامًا محمودًا يوم وفاة الرسول ﷺ بمكة، فقد كان سهيل بمكة وقتها وجاء الخبر بوفاة الرسول ﷺ، وارتد بعض العرب، ونجم النفاق، بل إن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ. هموا بالرجوع عن الإسلام، حتى خافهم عتّاب بن أسيد، وقام سهيل بن عمرو خطيبًا فيهم وقال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر وفاة الرسول ﷺ:

- إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه.

فهذا هو المقام الذي أشار إليه الرسول ﷺ حين أراد عمر بن الخطاب أن

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

يخلع له أسنانه الأمامية كي يدلع في كلامه يوم أسر في غزوة بدر الكبرى فقال له: إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه.

فكأنما ينظر الرسول ﷺ من وراء الحجب إلى سهيل بن عمرو وهو واقفاً في مكة حين وفاته ﷺ وحين أراد أهل مكة أن يرتدوا عن الإسلام يدافع عن دين الله ويقول له كما تروي كتب السيرة نفس مقالة أبي بكر الصديق في المدينة المنورة إلى المسلمين الذين فقدوا صوابهم بوفاة نبيهم ﷺ فقد قال سهيل بن عمرو لأهل مكة حين وقف خطيبًا فيهم فيما قال:

من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيًا لا يموت، من رابنا ضربنا عنقه....

وتراجع الناس عن ارتدادهم عن الإسلام يومها واستقام الأمر.. فكانت نفس مقالة أبي بكر الصديق ﵁ هي هي مقالة سهيل بن عمرو ﵁ وسبحان الله العظيم.

جهاده وفاته

عاش سهيل بن عمرو بعد وفاة الرسول ﷺ، يجاهد في سبيل الدعوة بلسانه وسيفه وماله وأهله، وشهد يوم اليرموك حين انتصر الإسلام على أكبر دولة وامبراطورية وقتها امبراطورية الروم، وكان يومها أميرًا على جمع غفير من الجيش ونال الشهادة يوم اليرموك(١).

وقال الشافعي والواقدي أنه مات في طاعون عمواس بالشام، وفي كلا الحالين لقد نال الشهادة ﵁.

❀❀❀

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي عن المدائني وغيره.

(٢) أبو سفيان صخر بن حرب ﷺ

- حارب الإسلام في مكة منذ ظهوره.
- اشترك في كل الحروب قائدًا لجيش الكفر من قريش ضد المسلمين بعد الهجرة.
- عفا عنه الرسول الله ﷺ وأسلم يوم الفتح ثم حسن إسلامه.
- حارب مع جيوش الإسلام بعد إسلامه وحتى وفاته.
- كان من دهاة العرب وأهل الرأي والشرف.

(٢) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية رضي الله عنه

إنه رأس قريش وزعيمها وقائدها، صاحب الرأى والشرف والدهاء.. هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب.. قائد جيش قريش ضد معسكر الإسلام يوم أحد ويوم الخندق.. ونجا بتجارة قريش في العام الثاني الهجري فكانت غزوة بدر الكبرى التي أعز الله بها الإسلام وأذل الشرك والمشركين.

كان أسنّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين وعاش بعده عشرين سنة[1].

تزوج الرسول ﷺ من ابنته أم حبيبة -رضي الله عنها حين تركها زوجها وتنصر في الحبشة ومات هناك فتزوجها الرسول الكريم ﷺ وهى بالحبشة ودخل بها بعد غزوة خيبر عندما عاد المهاجرون من الحبشة.

أبو سفيان والدعوة في مهدها بمكة

ولأن أبا سفيان من سادات قريش فقد اتخذ موقفًا معاديًا للدعوة الإسلامية منذ أن أظهر الرسول ﷺ دعوته بمكة، ومضى رسول الله على الدعوة لدين الله، فآمن من قومه قليل أكثرهم من المستضعفين، ولما رأت قريش أنه لا يرده شيء عن دعوته ذهبوا إلى عمه أبي طالب وكان وفد قريش وقتها مكون من سادات القوم ومنهم أبو سفيان وعتبة وشيبة وأبو البختري والأسود بن عبد المطلب وأبو الحكم «**أبو جهل**» ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والعاص بن وائل، وقالوا لأبي طالب:

- أن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل أباءنا،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي. وقال إنه عاش حتى بلغ التسعين من عمره ومات بالمدينة سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة ثلاث أو أربع وثلاثين من الهجرة.

فإما تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه.

فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا وردهم ردًا جميلاً.

وانصرف القوم على أمل أن يستجيب أبو طالب لمطلبهم من وقف دعوة ابن أخيه.

ولكن الرسول الكريم ﷺ استمر في دعوته إلى الله، فقد أمره الله تعالى بذلك فقال جل شأنه ((فاصدع بما تؤمر وأعرض عنِ المشركين)).

وعاد الوفد إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له:

- يا أبا طالب إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الطريقين.

وانصرفوا عن أبي طالب وقد اشتد بهم الغضب، ولم تطب نفسي أبي طالب أن يسلم له رسول الله ﷺ، وعظم عليه فراق قومه وعداوتهم له ولابن أخيه، فذهب أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له:

- يا بن أخي، أن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا؟ فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق.

قال له الرسول ﷺ وقد ظن أن عمه سوف يخزله ويسلمه إلى المشركين كما طلبوا منه ذلك:-

- والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك دونه ما تركته.

ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولىَّ ناداه أبو طالب فقال له:

- أقبل يا بن أخي.

فأقبل رسول الله ﷺ عليه، فقال أبو طالب:

- اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا[1].

استماع أبي سفيان للقرآن سرًا من رسول الله ﷺ بمكة

لقد كان كفر أهل مكة ليس تكذيبًا للنبي ﷺ بل هو عنادًا واستكبارًا وحسدًا منهم لرسول الله ﷺ، فهم يدركون مدى صدقه وأمانته وكذلك يعلمون أن هذا القرآن الذي أنزل عليه ليس كلامًا عاديًا من تأليف بشر مهما كانت فصاحته وبلاغته.

وقد روت لنا كتب السيرة أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا.

وفي الليلة الثانية، فعلوا مثل الليلة الأولى ثم جمعهم الطريق وقال بعضهم لبعض مثل المقالة الأولى وانصرفوا.

وفي الليلة الثالثة تكرر الأمر مثل ما حدث في الليلة الأولى والثانية، فقالوا لبعضهم:-

- لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا.

وفي الصباح ذهب الأخنس بن شريق إلى أبي سفيان في بيته فقال له:

- أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد!

فقال أبو سفيان:-

(١) السيرة لابن هشام.

- يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها؟

قال الأخنس له:-

- وأنا والذي حلفت به.

وخرج الأخنس من عند أبي سفيان متوجهًا إلى بيت أبي جهل فقال له:-

- يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال أبو جهل:-

- ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: من نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه. وعندئذ انصرف الأخنس وتركه.

ومن تلك الواقعة يتضح أن عناد أبي جهل ومحاربته للنبي ﷺ ليس تكذيبًا بما جاء به الرسول ﷺ ولكن هو الحقد والحسد، فهو يريد أن يكون النبي من عند قومه وعشيرته وليس من بني هاشم وعبد المطلب.

أبو سفيان وغزوة بدر

هاجر المسلمون إلى الحبشة بعد أن أشار عليهم رسولهم ﷺ بذلك، ثم أمرهم بالهجرة إلى المدينة المنورة بعد أن دخل غالبية أهل المدينة في الإسلام، ثم كانت الهجرة لرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وتكونت الدولة الإسلامية بقيادته هناك.

واستطاع الرسول ﷺ من تأسيس الدولة الإسلامية منذ أن وطئت قدماه المدينة المنورة، فأسس المسجد مقرًا للحكم وإقامة الشعائر، وأرسل سراياه

حول المدينة وبالقرب من مكة، واستطلع الأمر الذي عليه قريش.. فقد خرج المسلمون من مكة تاركين ديارهم وأموالهم هناك وقد استولى عليها أهل الشرك، فباعوا الديار وقسموا الأموال.

وأذن الله للذين ظلموا من المؤمنين بالقتال، وأراد الحق سبحانه وتعالى أن ينتصر لدينه وللمسلمين على المشركين.. وعلم الرسول ﷺ أن أبا سفيان خرج في عير قريش للتجارة إلى الشام وأنه في طريق عودته إلى مكة، وأرسل العيون كي يأتوه بالأخبار كي يخرج لتجارة قريش فيصيب منها ما يعوض المهاجرين ما أخذ منهم بغير حق في مكة ويساعده في الجهاد وإعلاء كلمة الحق، وكان ذلك في العام الثاني من الهجرة النبوية.

وجاءت الأخبار تعلن أن أبا سفيان مقبل من الشام في عير لقريش عظيمة الأموال وتجارة يحرسها ثلاثون رجلاً أو أربعون على الأكثر فيهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص، ومعهم ألف بعير ((الإبل)) تحمل أموال قريش كلها.

وجمع الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار وقال لهم: **((هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها))**.

وخرج نحو ثلاثمائة وأربعة عشر مسلمًا من المهاجرين والأنصار وتخلف الكثير لأنهم ظنوا أن الرسول ﷺ لن يلقى حربًا، فالقافلة لن يكون رجالها أكثر من أربعين رجلاً، وخرج مع الرسول ﷺ أكثر من ثلاثمائة رجل.

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك، فقد كانت إرادته أن يلقى المسلمون أهل الشرك من قريش في مواجهة حربية عسكرية ينتصر فيها أهل الإسلام وهم قليل العدد والعدة قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[1].

وأخبر الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن المسلمين كانوا يريدون العير وليس الحرب ولكن أراد الله الحرب ليقطع دابر الكافرين وأنه في كلا

---

(١) سورة آل عمران ٢٣.

الطائفتين خير : قال تعالى:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾(١).

وكان أبو سفيان إذا اقترب من الحجاز يتحسس الأخبار تخوفًا على التجارة والأموال، وعلم أبو سفيان ممن لقي من الركبان في طريقه أن محمدًا ﷺ قد استنفر أصحابه له ولتجارة قريش التي معه، فاستأجر أبو سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري كي يذهب إلى مكة ويستنفر قريش للدفاع عن أموالهم ويخبرهم أن محمدًا وأصحابه خرجوا في طلب العير.

وبالفعل انطلق ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة، ودخلها وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يصرخ في قريش:

– يا معشر قريش .. اللطيمة اللطيمة.. أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث .. الغوث.

وكان ذلك النداء بمثابة ناقوس الحرب.

كانت تلك الأحداث في شهر رمضان المبارك في العام الثاني من الهجرة النبوية.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد خرجوا في طريقهم إلى قافلة قريش بقيادة أبي سفيان واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم للصلاة بالناس، ولم يكن معه إلا فرسان أحدهما للزبير بن العوام والآخر للمقداد بن الأسود، معهم سبعون بعيرًا، وأرسل رسول الله ﷺ بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتحسسان الأخبار مرة ثانية، ووصلا إلى بئر بدر وشربا منه

(١) الآيات من سورة الأنفال: ٥-٨.

وسمعا من جاريتين هناك أن العير سوف تصل بعد يوم أو يومين، وانصرفا كي يخبرا رسول الله ﷺ ووصل أبو سفيان إلى بئر بدر قبل القافلة حذرًا يستطلع الاخبار وسأل رجل يدعى مجدي بن عمرو من سكان الحاضر: هل أحسست أحدًا؟

قال له: ما رأيت أحدًا أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شيء لهما، ثم انطلقا.

فأمسك أبو سفيان بالبعرة التي تخلفت من غرسها، وفركها فإذا بها بقايا نواى تمر، فقال:

– هذه والله علائف يثرب.

وأمر أبو سفيان القافلة أن تخالف خط سيرها إلى محازاة البحر كي لا تقابل محمدًا ﷺ وأصحابه.

وهكذا استطاع أبو سفيان النجاة بالعير والقافلة من المسلمين الذين تربصوا بها في طريقها إلى مكة.

ووصل الرسول ﷺ إلى بدر وعلم أن أبا سفيان قد استطاع أن يهرب بالقافلة إلى مكة سالمًا، وأن أهل مكة قد خرجوا لحربه فأشار على من حوله من المهاجرين والأنصار فلم يتخلف عنه أحد منهم، فقال لهم:

– سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم(١).

ورغم أن تجارة قريش وعيرها قد نجت ووصلت مكة سالمة – إلا أن أبا جهل لعنه الله استنفر قريش للخروج للقضاء على الرسول ﷺ وأصحابه في المدينة..

– ورأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره وأرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم

(١) السيرة لابن هشام وابن كثير بتصرف واختصار.

لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا.

فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا. فنقيم فيها ثلاثًا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان - المغنيات- وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا.. فامضوا.

وحاول البعض أن يثني أبا جهل عما اعتزمه من الحرب والقتال ولكنه أصر على ذلك واستطاع أن يخرج بقريش في جيش قوامه ألف مقاتل أو أكثر لحرب المسلمين، وكان قدر الله مقدورًا. قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾(١).

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، خلف العقنقل وبطن الوادي وهو بليل، وبين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش، والقليب ببدر هو العدوة الدنيا من بطن بليل إلى المدينة كما ذكر ذلك القرآن الكريم:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾(٢).

وخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى استقر بالجيش أسفل الماء فقال له الصحابي الحباب بن المنذر بن الجموح:-

- يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه. أم هو الرأي.. والحرب والمكيدة؟

قال له ﷺ:

- بل هو الرأي والحرب والمكيدة.

قال الحباب: - يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتي

---

(١) سورة الأنفال: ٤٢.

(٢) سورة الأنفال: ٤٢.

أدنى الماء من القوم فننزله ثم نغوّر ما وراءه من القليب ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال له ﷺ:

- لقد أشرت بالرأي.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقماص وجبريل عن يمينه إذ أتاه من الملائكة فقال يا محمد إن الله يقرأك السلام.

فقال رسول الله ﷺ: هو السلام ومنه السلام وإليه السلام.

فقال الملك: إن الله يقول لك إن الأمر هو الذي أمرك به الحباب بن المنذر.

فقال ﷺ: يا جبريل هل تعرفه؟

فقال جبريل: ما كل أهل السماء أعرف وإنه لصادق وما هو بشيطان.

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى الماء أي بالقرب منه- ثم أمر بالقليب فغورت وبنى حوضًا كما أشار عليه الحباب بن المنذر(١).

وأرسل الرسول ﷺ من يأتيه بالأخبار، وعلم أن قريش خرجت بأفلاذ أكبادها في نحو ألف مقاتل لحربه..

ودارت رحى المعركة وانتصر رسول الله ﷺ وجنده، وكانت بحق يوم الفرقان والنصر العظيم.

وتحقق وعد الله لرسوله والمؤمنين:

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(٢).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) سورة القمر: ٤٥-٤٦.

وقُتِلَ من المشركين سبعون وأسر سبعون على قول الجمهور من المؤرخين وكتاب السيرة، واستشهد من المسلمين أربعة عشر شهيدًا ستة من المهاجرين وثمان من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وكان أول شهيد في المعركة هو مهجع مولى عمر بن الخطاب.

هجوم أبي سفيان على المدينة بعد المعركة

أسر ابن أبي سفيان -عمرو بن أبي سفيان- في غزوة بدر، أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقيل لأبي سفيان: افدِ عمرو ابنك؟

قال: أيجمع على دمي ومالي؟ قتلوا حنظلة وأفدى عمروا! دعوه في أيديهم يُمسكوه ما بدا لهم.

وترك أبو سفيان ابنه عمرو في الأسر، حتى ظفر بأحد الأنصار قد جاء معتمرًا ويدعى سعد بن النعمان وكان شيخًا مسلمًا، وظن أنه أنما جاء معتمرًا فلن يتعرض له أحد من الكفار بسوء، وكان ذلك عهد قريش مع العرب، ولكن أبا سفيان أخذه أسيرًا مقابل ابنه عمرو وذهب بنو عمرو بن عوف إلى الرسول ﷺ وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا صاحبهم به، ففعل رسول الله ﷺ، وبعثوا إلى أبي سفيان، وتم فك أسر عمرو(1) بذلك.

وأقسم أبو سفيان أنه لن يمكث في مكة حتى يغزو المدينة بعد ما حدث في غزوة بدر الكبرى التي لم يحضرها لأنه كان على رأس العير، وكي يبر بقسمه أخذ بعض رجاله وانطلق إلى المدينة، وتوجه إلى أحد أحيائها يقال لها العريض فحرقوا أصوار من نخل وقتلوا رجلين من الأنصار، وانصرفوا راجعين إلى مكة، وبلغ الخبر إلى المسلمين فانطلق له رسول الله ﷺ وأصحابه، ولكن أبا سفيان هرب مسرعًا إلى مكة ولم يلحقوا به، وسميت تلك الواقعة بغزوة

(1) أم عمرو بن أبي سفيان هي بنت عقبة بن أبي معيط وقال ابن إسحاق بل أخت عقبة ابن أبي معيط.

السويق، وكان عدد الرجال الذين خرجوا مع أبي سفيان مائتين فارس(1). وقال المسلمون لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال: نعم.

أبو سفيان قائد معركة أحد

في العام الثالث من الهجرة وبعد مضي عام على غزوة بدر الكبرى، وبعد أن هُزم جيش الشرك من أهل قريش وولوا الأدبار وقتل صناديد الكفر كلهم يومها، ولم يبق إلا أبو سفيان الذي لم يشهد واقعة بدر الكبرى، واجتمع أهل القتلى من المشركين يوم بدر في مكة بأبي سفيان الذي أصبح بلا منازع كبير قريش وزعيمها فقالوا:

- إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرًا.

وكانوا يريدون بعض المال من العير التي أراد النبي ﷺ وأصحابه أخذها من أبي سفيان يوم بدر، ووافق القوم على هذا الرأي وقدموا أموالهم للصد عن سبيل الله ومحاربة رسول الله ﷺ وأصحابه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(2).

وخرجت قريش بحدها وحديدها وخيرها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة.، وخرج أبو سفيان قائد الجيش ومعه زوجته هند بنت عتبة ابن ربيعة للثأر من قتل أبيها في بدر وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته

(1) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية وذكر أن أبا سفيان ذهب إلى بني النضير يهود المدينة ونزل إلى سلام بن مشكم، وأن أبا سفيان حلف ألا يمسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا، ففعل ما فعل ليبر بيمينه!!

(2) سورة الأنفال: ٣٦.

وكذلك صفوان بن أمية وغيرهم.

والتقى الجيشان في أحد وسميت المعركة بذلك الاسم نسبةً إلى جبل أحد الشهير، وكان النصر في أول المعركة للمسلمين ثم انقلب الحال حين خالف الرماة أمر الرسول ﷺ بترك أماكنهم على الجبل وانقض خالد بن الوليد وهو يومها أحد القادة لجيش الكفر على الرماة وأحدث ثغرة في الجيش الإسلامي مما أدى إلى وقوع الهزيمة وإن لم تكن هزيمة بالمعنى المعروف في الحروب ولنا أن نسميها خسائر في الأرواح فقط لأن جيش المشركين حين قتل سبعين من جيش المسلمين ولى مدبرًا فارًا إلى مكة واكتفى بتلك الخسارة، بل أن رسول الله ﷺ طاردهم، فكيف يكون الجيش المنهزم هو الذي يطارد الجيش المنتصر!!

الأمر الذي نراه أن جيش الإسلام في أحد لم ينهزم عسكريًا، لأن الهزيمة يعقبها فرار من أرض المعركة للمنهزم، وثبات واستقرار للمنتصر كما حدث في غزوة بدر الكبرى حين ظل الرسول ﷺ بعد فرار جيش الكفار ثلاثة أيام في أرض المعركة، وأيضًا ظل في أرض المعركة في أحد، والذي فرَّ من المعركة هو جيش الكفار.

المهم أن أبا سفيان في خضم المعركة وقف محفزًا جيشه وهو في أسفل الجبل: أعْلُ هبل ((مرتين)) ويقول: أين ابن أبي كبشة - يقصد رسول الله ﷺ - أين ابن أبي قحافة - يقصد أبو بكر الصديق - أين ابن الخطاب؟ فقال عمر عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ :-

- ألا أجيبه؟

قال ﷺ : بلى.

قال عمر لأبي سفيان: الله أعلى وأجل.

فقال أبو سفيان له: قد أنعمت عينها.. أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب!

فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر.

فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال.

فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

قال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا، أما أنكم سوف تجدون في قتلاكم مثْلة ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا[(١)].

محاولة أبي سفيان العودة إلى مكة

بعد انسحاب أبي سفيان وجيشه من أرض المعركة في أحد واكتفاءه بما أصابه من قتل سبعين من جيش المسلمين، أراد العودة مرة أخرى وهو يظن أنه قادر على استئصال شأفة المسلمين والقضاء عليهم نهائيًا.

وعلم الرسول ﷺ خبر أبي سفيان بعد أن وصل بجيشه إلى المدينة، وذلك حين قدم عليه رجل من أهل مكة وأخبره إنهم يتلاومون ويقول بعضه لبعض: لم تصنعوا شيئًا أصبتهم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم فقد بقي منهم رءوس يجمعون لكم.

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وفي رواية أخرى قال أبو سفيان: أفي القوم محمد؛ فقال ﷺ : لا تجيبوه.
فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة، فقال: لا تجيبوه.
أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا؟ فلم يملك عمر نفسه فقال له: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يحزنك. فقال أبو سفيان: أعل هبل.
فقال النبي ﷺ : أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم.
فقال النبي ﷺ : أجيبوه. قالوا: ما نقول؟
قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسوني. وهذا من أفراد البخاري دون مسلم.

وأمر الرسول ﷺ الجيش الذي حارب معه في المعركة دون غيرهم بالخروج معه رغم ما بهم من قرح بالخروج لملاقاة أبي سفيان ومن معه بحمراء الأسد حيث كان أبو سفيان وجيشه.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك مرَّ رسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد، فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم.

ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا:-

- أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم.

فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال:

ما وراءك يا معبد؟

قال معبد: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط.

قال أبو سفيان له: ويلك ما تقول؟

قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل.

قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم.

قال معبد: فأني أنهاك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتًا من الشعر.

قال أبو سفيان: وما قلت؟

قال معبد:

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتي ... إذا سالت الأرض بالجرد[١] الأبابيل
تُردَى بأسد كرام لا تنابلة[٢] ... عن اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت[٣] البطحاء بالجيل[٤]
إني نذير لأهل البسل ضاحيه ... لكل ذي أربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخشي[٥] قنابله ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومرَّ ركب من عبد قيس فقال أبو سفيان: أين تريدون؟

قالوا: المدينة.

قال: ولِمَ.

قالوا: نريد الميرة.

قال أبوسفيان لهم: هل أنتم مبلغون عني محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه وأخمل[٦] لكم إبلكم هذه غدًا زبيبًا بعكاظ إذا وافيتموها؟

قالوا: نعم.

قال: فإذا وافيتموه فأخبروه إنا قد أجمعنا السير إليه وإلي أصحابه لنستأصل بقيتهم.

---

(١) **الجرد:** الإبل اللمساء.
(٢) **تنابلة:** كسالى.
(٣) **تغطمطت:** اضطربت.
(٤) **جيل:** أبناء جيل.
(٥) **وخشي:** ردىء.
(٦) **أخمل:** اجعلها ترعى.

ومر الركب برسول الله ﷺ فأخبروه وهو بحمراء الأسد بالذي قاله أبو سفيان.

فقال ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل.

ونزل قوله تعالى في ذلك:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وقذف الله الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه ورجع إلى مكة مكتفيًا بما حققه من نصر هذيل وقتل سبعين من المسلمين يومها وخاف لقاء الرسول ﷺ ومن معه ممن شهدوا أحد في حمراء الأسد وبالتالي تكون شبه الهزيمة قد انمحى وانقلب إلى نصر في حمراء الأسد لرسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وكانت واقعة أحد وحمراء الأسد في العام الثالث الهجري، شهر شوال.

محاولة أبي سفيان اغتيال النبي ﷺ

بعد غزوة أحد وعودة أبي سفيان وحزبه إلى مكة خدعه الأمل الكاذب في أن يحاول قتل الرسول ﷺ باغتياله وهو في المدينة، وأعلن أبو سفيان عما يخفيه لمن حوله فقال لنفر من قريش:

– ما أحد يغتال محمدًا فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا.

فهو يعلم أن ما حدث في أحد ليس انتصارًا وأنه لم يدرك بتلك الموقعة ثأره من المسلمين، وهداه تفكيره إلى اغتيال النبي ﷺ كما يحدث دومًا على مر العصور من اغتيال الزعماء والقادة، ولكن النبي ﷺ معصومًا من الله محفوظًا منه سبحانه وتعالى، ولكن أبا سفيان يظن أن محمدًا ﷺ رجلاً عاديًا يمكن اغتياله فهو مثل أي زعيم سياسي أو قائد دولة، هكذا ظن أبو سفيان

(١) سورة آل عمران: ١٧٢-١٧٣.

ولكن ذلك ظن السوء، ظن الجاهلية الذين لم يدركوا الحقيقة الواضحة بعقولهم أو قلوبهم، وهذا ما سوف توضحه تلك الحادثة والتي أوردها ابن كثير في البداية والنهاية وغيره من أصحاب السير.

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف.. قالوا:-

– كان أبو سفيان قد قال لنفر من قريش بمكة:

– ما أحد يغتال محمدًا فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا.

فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له:

– إن أنت وفيتني خرجت إليه حتى اغتاله، فإني هاد بالطريق خريت، معي خنجر مثل خافيه النسر.

قال أبو سفيان له: أنت صاحبنا.

وأعطاه بعيرًا ونفقة وقال: أطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدًا فينميه إلى محمد.

قال العربي: لا يعلمه أحد.

فخرج ليلاً على راحلته فسار خمسًا وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلّى فقال له قائل:-

– قد توجه إلى بني عبد الأشهل.

فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده، فلما دخل ورآه رسول الله ﷺ ، قال لأصحابه أن هذا الرجل يريد غدرًا، والله حائل بينه وبين ما يريد.

فوقف الرجل وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال له رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب.

فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يساره فجذبه أسيد بن حضير وقال:

- تنح عن رسول الله ﷺ.. وجذب بداخل إزاره فإذا الخنجر.

فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله هذا غادر فأسقط في يد الأعرابي وقال:

- دمي دمي يا محمد.

وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي ﷺ:

- أصدقني ما أنت وما أقدمك، فإن صدقتني نفعك الصدق، وإن كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به.

قال الأعرابي:

- فأنا آمن؟

قال ﷺ له: وأنت آمن.

فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن خضير، ثم صار له من الغد فقال له ﷺ:-

- قد أمنتك فأذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك.

قال الأعرابي: وما هو؟

قال ﷺ:

- أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

فقال الأعرابي على الفور:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله؛ والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال - أي أخاف من الرجال - فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي

وضَعفتُ ثم أطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد، فعرفت أنك ممنوع، وإنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان.

فجعل النبي ﷺ يبتسم، و أقام أيامًا ثم أستأذن النبي ﷺ، فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر.

وهكذا انتهت محاولة الاغتيال الفاشلة التي دبرها أبو سفيان لرسول الله ﷺ بفضل الله وحماية لرسوله ﷺ.

وأرسل الرسول ﷺ الصاحب عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم ابن حريش[1]... إلى مكة وقال لهما:-

- أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه.

قال عمرو بن أمية وهو يروى قصة سريته تلك:

- فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن بأجج فقيدنا بعيرنا، وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعًا ونصلى ركعتين.

فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها، وإني أُعرف بمكة من الفرس الأبلق.

فأبى عليَّ - أي أصر - فانطلقنا، فأتينا مكة فطفنا سبعًا وصلينا ركعتين، **فلما** خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال:

- عمرو بن أمية واحزناه.

فندر بنا أهل مكة - أي صاح على الناس - فقالوا ما جاء عمرو في خير،

---

(١) ذكر ابن هشام القصة في السيرة بنحو سياق الواقدي ولكنه قال أن رفيق عمرو بن أمية هو جبار بن صخر والله أعلم والقصة نسوقها هنا باختصار وتصرف يسير جدًّا.. وقد ذكرها ابن كثير كما قلنا من قبل في تاريخه.

وكان عمرو فاتكًا في الجاهلية فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهم أهل مكة واشتدوا في الجبل، ودخل عمرو وصاحبه مغارة وعمى على أهل مكة مكانهم، وأشرف عليهم رجل يدعى عثمان بن مالك بن عبيد الله التميمي في غداة اليوم التالي يختلي لفرسه حشيشًا فقال عمرو لصاحبه:

– إذ أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا.

فلم يزل الرجل يدنو من الغار حتى أشرف عليهم، فخرج إليه عمرو بن أمية وطعنه بخنجر فسقط وصاح فاجتمع له أهل مكة، وهرب عمرو إلى مكانه. وسألوه: من قتلك؟

قال لهم الرجل وهو في النزع الأخير: عمرو بن أمية.

فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت بخير.

ومات الرجل قبل أن يدل على مكانهما.

وانصرف الناس بالرجل وهو ميت، وبعد ليلتين وقد سكن الطلب عنهما، خرجوا واتجهوا ناحية التنعيم على حدود مكة، وقد صلب هناك الصحابي خبيب بن عدي بعد أن قتله المشركون وتركوه مصلوبًا على الخشب وعليه حراس، واستطاع عمرو بن أمية أن يحمل جثمان الصحابي خبيب، ولكن الحرس استيقظوا وطاردوه، فألقى الخشبة التي صلب عليها الصحابي ثم أهال عليه التراب برجله سريعًا، وانطلق هاربًا، وكان صاحبه قد انطلق إلى المدينة بالبعير كما طلب منه ذلك عمرو، ودخل عمرو بن أمية غارًا في جبل، ودخل عليه رجل من المشركين فلم يعرفه، واستطاع عمرو أن يغافله فقتله، ثم خرج من الغار فرأى رجلين من قريش يتحسسان الأخبار، فقتل أحدهما وأسر الآخر، وجاء به إلى المدينة حيث الرسول ﷺ، وأخبره بما حدث وسرَّ الرسول بذلك سرورًا عظيمًا.

وهذه السرية تسمى في كتب السيرة بسرية عمرو بن أمية الضمري.

أبو سفيان يخشى مواجهة المسلمين في غزوة بدر الأخرى

تواعد أبو سفيان مع الرسول ﷺ وأصحابه على اللقاء والحرب عند ماء بدر وهو المكان الذي انهزم المشركون فيه في العام الثاني من الهجرة، وكان ذلك الوعد يوم غزوة أحد في العام الثالث.. وتواعد الطرفان على اللقاء.

وخرج رسول الله ﷺ إلى المكان المتواعد عليه ببدر في شهر شعبان، بعد عودته من غزوة ذات الرقاع، ونزل وأقام في بدر ثمانية أيام.

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل «مجنة» من ناحية ظهران وقيل بلغ عسفان، ثم بدا له الرجوع فقال لمن معه:

– يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن. فإن عامكم هذا جدب وإني راجع فارجعوا.

وبالفعل رجع أهل مكة مع أبي سفيان وسمى الناس هذا الجيش جيش السويق.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيدًا. بعد عودة جيش قريش منهزمًا دون قتال وسميت بغزوة بدر الأخرى، في العام الرابع الهجري.

وقال الواقدي: فأقاموا ببدر مدة الموسم حيث يقام هناك السوق والتجارة – الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين، وقال غيره: فانقلبوا كما قال الله تعالى: **﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾**[1].

(١) سورة آل عمران: ١٧٤.

الأحزاب وأبو سفيان

استطاع أبو سفيان أن يألب القبائل على رسول الله ﷺ وأصحابه في العام الخامس من الهجرة في شهر شوال، وقيل إنها في العام الرابع الهجري ولكن الصحيح أنها في العام الخامس في شهر شوال لأن غزوة بدر الأخرى التي ذكرناها كانت في شعبان من العام الرابع فلا يصح أنهم رجعوا بعد مضى شهرين، والراجح أنها في العام الخامس والله أعلم[١].

والذين سعوا في هذه الحرب هم اليهود، فقد جاء نفرٌ. منهم سلام بن أبي الحقيق وحييٌّ بن أخطب وغيرهم إلى قريش فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم حتى نستأصله، فقالت قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه.. وأنتم أولى بالحق منه.

ونزل فيهم قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾[٢].

وخرجوا من عندهم إلى غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم إلى حرب الرسول ﷺ، وقالوا لهم مثل قولهم لقريش.

وعلى ذلك خرجت قريش مع قائدها أبي سفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصن، والحارث بن حارثة المري في بني مرة وقوم أشجع.

وعلم رسول الله ﷺ بخبر الأحزاب والنية التي بيتوها للقضاء على الإسلام، وجمع أصحابه للمشورة، فلقد خرجت الأحزاب قاصدة المدينة لحربهم

---

(١) قال البيهقي إنه لا لختلاف بينهما في الحقيقة لأن مرادهم أن ذلك بعد مضى أربع سنين وقيل اكتمال خمس.

(٢) سورة النساء: ٥١.

والقضاء عليهم، فأشار عليه الصحابي الجليل سلمان الفارسي بالخندق، وهي طريقة يستخدمها أهل فارس في حروبهم، وتم حفر الخندق حول المدينة.. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الغزوة في سورة الأحزاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِياً عَزِيزاً * وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[1].

وشارك رسول الله ﷺ المسلمين في حفر الخندق بنفسه وكان يقول:

((**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار**)). رواه مسلم.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر أو اغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزل سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته: أبينا، أبينا[2].

وجاء جيش الشرك من الأحزاب بقيادة أبي سفيان فوجدوا الخندق أمامهم حائل بينهم وبين اقتحام المدينة، وكان الخندق قد حفر حول المدينة كلها ما عدا حصون اليهود.. وذلك أن هناك عهد بين الرسول ﷺ ويهود المدينة.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة. في عشرة الآف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر

(١) الآيات من سورة الأحزاب: ٩ - ٢٧.
(٢) رواه مسلم والبخاري.

بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام - حصن من الحجارة - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

ولما رأى الأحزاب أن الخندق حول المدينة أغلق عليهم سبيلهم، وأغلق بنو قريظة حصونهم، ذهب اليهودي حيي بن أخطب وهو أحد زعماء اليهود من بني النضير الذين تم إجلاءهم عن المدينة لغدرهم العهد مع رسول الله ﷺ، فذهب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم، فأغلق دونه باب الحصن وقال له: ويحك يا حيَّ أنك امرؤ مشؤوم وأني قد عاهدت محمدًا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقًا.

قال له حييَّ بن أخطب: ويحك أفتح لي أكلمك.

قال: ما أنا بفاعل..

قال حييَّ: والله إن أغلقت دوني إلا خوفًا على جشيشتك - طعامك - أن آكل معك منها.

ففتح له ودخل الحصن وهنا قال له حييَّ بن أخطب عليه اللعنة: يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام.

قال: وما ذاك.

قال: جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد، وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه.

فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام - سحاب لا ماء فيه - قد هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء ويحك يا حييَّ فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقًا.

ولكن حييَّ بن أخطب ظل يوسوس لكعب حتى استماله وسمع له في نقض عهد رسول الله ﷺ والاشتراك مع الأحزاب في القتال، وقال له حييَّ بن أخطب إن رجعت الأحزاب ولم تقاتل المسلمين سوف أدخل معك الحصن وأحارب

معك حتى يصيبني ما أصابك.

ونقضت اليهود من بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ، وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين فأرسل إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، كي يتكلموا معهم في الوفاء بالعهد، ولكن اليهود أعلنوا رفضهم للوفاء بالعهد وقد مزقوا الصحيفة وشاتموا سعد بن معاذ الذي رد عليهم وأغلظ، وعاد السعدان إلى رسول الله ﷺ وأخبروه إصرار اليهود على نقض العهد وإنهم غدروا به، واضطجع رسول الله ﷺ وتقنع بثوبه، وعلم المسلمون أن الوحي نزل عليه، ثم رفع رأسه وقال: أبشروا بفتح الله ونصره.

وظل حصار المشركين من الأحزاب للمدينة بضعًا وعشرين ليلة قريبًا من الشهر، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل والحجارة، واشتد البلاء بالمسلمين، وكانت تلك الغزوة من أشد الغزوات على المسلمين وأخطرها على الإسلام، حتى ربطوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلم يجدوا طعامًا ولا شرابًا في ذلك الحصار، ولكنهم صمدوا وصبروا حتى جاء نصر الله والفتح.

وحاولت بعض فرسان قريش اقتحام الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت من مكان ضيق، وخرج إليهم علي بن أبي طالب ونفر من المسلمين حتى قطعوا عليه الثغرة، وكان في جيش المشركين عمرو بن عبد ود وهو من شجعان العرب في المبارزة والقتال، وكان مقنع بالحديد فنادى: من يبارز؟

فقال علي بن أبي طالب: أنا لها يا نبي الله.

فقال له النبي ﷺ: إنه عمرو، اجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليَّ رجلاً؟

فقال علي بن أبي طالب: أنا يا رسول الله؟

فقال له ﷺ: اجلس.

ثم نادى عمرو بن عبدود الثالثة وأنشد يقول:

ولقد بححت من النداء	لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	موقف القرن المناجز
ولذاك أني لم أزل	متسرعًا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله أنا.

فقال له ﷺ: إنه عمرو !!

فقال علي: وإن كان عمروا!!

فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك	مجيب صوتك غير عاجز
في نية وبصيرة	والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم	عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء	يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا بن أخي، من أعمامك من هو أسن منك فأني أكره أن أهريق دمك؟

فقال علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب عمرو فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو عليٍّ مغضبًا واستقبله عليٌّ بدرفته فضربه عمرو في درقته فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب

رأسه فشجة، وضربه عليٌّ بن أبي طالب على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف المسلمون أن عليًا قتله.

وأنشد يقول:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه   وعبدت رب محمد بصواب

وأقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل. فقال له عمر بن الخطاب: هلا أستلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها؟

فقال علي: ضربته فاتقاني بسوءته، فأستحييت ابن عمي أن أسلبه وكان من عادة العرب في المبارزة أن الذي يقتل خصمه يأخذ درعه وسيفه وما معه.

وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جثته: أي عمرو بن عبد ود – بعشرة آلاف، فقال لهم الرسول ﷺ:

– هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى.

وفي رواية أنه قال: ادفعوا إليهم جيفته فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية.

ولم يقبل منهم شيئًا[1].

وذكر ابن جرير وغيره أن نوفل بن عبد الله المخزومي تورط في الخندق ورماه المسلمون بالحجارة، وجعل يقول:

– أحسن من هذا يا معشر العرب

فنزل إليه علي بن أبي طالب فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن، فأبى عليهم أن يأخذ شيئًا منهم ومكنهم من أخذ جثته[2].

وأصيب الصحابي الجليل سعد بن معاذ بسهم رماه حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤى فلما أصابه السهم قال: خذها مني وأنا ابن العرقة.

(١) ابن كثير البداية والنهاية والسيرة لابن هشام.

(٢) قال ابن كثير معلقًا وهذا غريب من وجهيه.

فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار.

ودعا سعد ربه قائلاً: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها فإنه لا قوم أحب لي أن أجاهد قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

وقال ابن إسحاق أن الذي أصاب سعد يومها أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم.

وقد استجاب الله لدعوة سعد بن معاذ رضي الله عنه، ومات شهيدًا بجرحه بعد أن جاء نصر الله وانهزمت الأحزاب، وعادوا إلى ديارهم محملين بالخزي والهزيمة، وأقر الله عينه من بني قريظة يهود المدينة الذين نقضوا العهد وخانوا الرسول ﷺ، وحين حاصرهم الرسول ﷺ نزلوا على حكم سعد بني معاذ رضي الله عنه وهو يعاني يومها من جراحه التي ألمت به من ذلك السهم الذي أصابه في الخندق كما ذكرنا، وحكم سعد عليهم – أي اليهود- بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال وتقسيم الأموال بين المسلمين، ثم لقى ربه شهيدًا، وعلق الرسول الكريم ﷺ على حكم سعد في اليهود بأنه حكم الله فيهم من فوق سبع سموات وذلك ثابت في كتب الحديث والسيرة[1].

هزيمة الأحزاب وانسحاب أبي سفيان

بعد أن اتفق أبو سفيان ومن معه من الأحزاب مع يهود بن قريظة على دخولهم الحرب ضد رسول الله ﷺ، فقد فرق الله جمعهم وشتت رأيهم واختلفوا فيما بينهم ونصر الله جنده.

وتروى كتب السيرة أن نعيم بن مسعود بن عامر أتى رسول الله ﷺ فقال له:

(١) من أراد المزيد من سيرة هذا الصحابي الجليل فليقرأ كتابنا شهداء الصحابة في عصر النبوة، ففي سيرته الخير الكثير.

- يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت.

فقال له ﷺ :

- إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان صديقًا لهم في الجاهلية فقال لهم:

- يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريش وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناءكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم ونساءهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه.

قالوا: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج فأتى قريشًا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من الأحزاب:-

- قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقًا أن أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموا عني.

قالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه، أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم

تكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث اليهود يلتمسون منكم رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا.

وبالفعل حدثت الفتنة بين اليهود والأحزاب فقد أرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم:

- إنّا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ مما بيننا وبينه.

فقالت اليهود: إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإنا نخشى أن ضرستكم - اشتدت عليكم - الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك.

ورجعت الرسل بما قالت اليهود... وعلموا أن ما قاله نعيم بن مسعود حق فأرسلوا إلى اليهود.

- إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحد من رجالنا وإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فرفض اليهود القتال دون الشرط الذي حدده لهم نعيم بن مسعود من أخذ الرهائن.. وهكذا نجحت الخدعة، وخذلهم الله وبعث الله الريح في ليلة شديدة البرودة والشتاء على الأحزاب، تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم وتهدم خيامهم، فأمر أبو سفيان الأحزاب بالانسحاب والعودة قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾**[1].

وهكذا رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال.

---

(١) سورة الأحزاب: ٩.

وأرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان يستطلع خبر الأحزاب في تلك الليلة، فقال له:

– إنه كان في القوم خبر فأتني بخبر القوم.

وكان حذيفة يقول عن تلك المهمة الشاقة:

– وأنا من أشد الناس فزعًا وأشدهم قرًا.

ودعا له الرسول ﷺ :

– اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته.

قال حذيفة: فوالله ما خلق الله فزاعًا ولا قرا في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد فيه شيئًا.

ثم قال له الرسول ﷺ وهو ذاهب لمهمته:–

– يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئًا حتى تأتيني.

فخرج حذيفة إلى معسكر المشركين فنظر فوجد ضوء نار لهم توقد وإذا برجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته:

– الرحيل .. الرحيل..

وكان هذا الرجل أبو سفيان بن حرب، فأراد حذيفة أن يضربه بسهم ولكنه تذكر وصية رسول الله ﷺ له: لا تحدثن فيهم شيئًا. فأمسك ثم دخل المعسكر.. فسمع القوم ينادون فيما بينهم: الرحيل: الرحيل.. لا مقام لكم.

وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهن شبرًا، ويقول حذيفة: فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها.

وبعد أن استطلع حذيفةالأمر رجع إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر، وفي منتصف الطريق وجد عشرون فارسًا معتمين فقالوا له:

– أخبر صاحبك أن الله قد كفاه.

وعاد إلى رسول ﷺ وهو مشتمل على شملة يصلي وأخبره الخبر وذكر له ما قاله الفرسان الذين قابلوه في طريق العودة، فأخبره النبي ﷺ : إنهم الملائكة.

وبعد هذه الغزوة قال ﷺ :

«الآن نغزوهم ولا يغزوننا»[1].

واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق من الأنصار–: سعد بن معاذ – وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الحشميان وكعب بن زيد النجاري.

ومن المشركين قتل: منبه بن عثمان ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وعمرو ابن عبدود وابن حسل بن عمرو بن عبدود، وهكذا انتصر المسلمون وكانت آخر غزوة تخرج فيها قريش لقتال المسلمين في المدينة، وجاء بعدها صلح الحديبية ثم فتح مكة.

صلح الحديبية ونقضها

كان صلح الحديبية نقطة تحول في علاقة مشركي قريش مع رسول الله ﷺ ، فقد خفت حدة الحرب والقتال بينهما بهذا الصلح الذي مدته عشرة سنوات قابلة للتجديد، وكان أبو سفيان بن حرب قائد قريش وزعيمها الذي لا ينازع، وقد وقف هو وأهل مكة ومنعوا الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين من أداء العمرة حتى حضروا في الحديبية وأوشك القتال أن يدور بينهما، وانتهى الأمر إلى الصلح وتأجيل العمرة إلى العام التالي كما نصت المعاهدة على ذلك.

وكان من شروط الصلح أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل من القبائل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش؟

(١) رواه البخاري.

واستمرت الهدنة قائمة قرابة ثمانية عشر شهرًا ليس هناك ما يعكر صفوها... حتى أعانت قريش بني بكر على غزو خزاعة ليلاً وقتلوهم، وذهب عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة يشكو ما فعلته قريش وحلفائها من بني بكر لرسول الله ﷺ فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشد يقول:-

يا رب إني ناشدًا محمدًا	حلف أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتموا ولدًا وكنا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع أبدا
فانصر رسول الله نصرا أبدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفًا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشًا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	فهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هُجدا	وقتلونا ركعًا سجدا

فقال له رسول الله ﷺ :

- نصرت يا عمرو بن سالم.

ومرت سحابة في السماء فقال رسول الله ﷺ :

- إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب.

وأمر الرسول ﷺ الناس بالجهاز للحرب وكتمهم الأمر حتى يفاجئ قريش.

أبو سفيان يحاول تجديد الصلح

ذكر ابن إسحاق أن وفد خزاعة بقيادة بديل بن ورقاء حين انصرفوا من المدينة راجعين إلى ديارهم بعد أن أخبروا الرسول ﷺ بأن قريشًا نقضت العهد وأعانت عليهم بني بكر، وأخبرهم الرسول ﷺ أنه سوف ينصرهم ويقدم مكة فاتحًا لها ولكن أكد عليهم بكتمان الأمر، لقوا أبا سفيان بعسفان قرب مكة وكان أبو سفيان متوجهًا إلى المدينة موفدًا من قريش إلى رسول الله ﷺ يشد

العقد ويزيد في المدة لأنهم رهبوا الذي صنعوه في خزاعة، فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال له:

- **من أين أقبلت يا بديل؟**

فأخفى عنه بديل ذهابه إلى رسول الله ﷺ فقال:

- سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن الوادي.

فعمد أبو سفيان إلى مبرك ناقته فأخذ من بكرها ففته فرأى فيه النوى فقال:

- أحلف بالله لقد جاء بديل من عند محمد.

وذهب أبو سفيان إلى المدينة المنورة حتى قدم على رسول الله ﷺ فدخل على ابنته أم حبيبة -رضي الله عنها- زوجة رسول الله ﷺ . فلما أراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ قامت أم حبيبة -رضي الله عنها- فطوته، فقال لها:

- يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفرش أو رغبت به عني؟

فقالت له:

- هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلا أحب أن تجلس على فراشه.

فقال لها وقد اعتراه الحزن:

- يا بنية والله لقد أصابك بعدي شرًا.

لم يظن أبو سفيان أنه سوف يلقى من ابنته هذه المعاملة، فظن أنها أصابها شر، ولكنه حب الله ورسوله الذي غلب على أي حب سواه، فلا أنساب ولا قرابة، فالموالاة لله ولرسوله والبراء من كل من خالف أمره أمر واجب، وهذا هو الذي فهمته أم المؤمنين -رضي الله عنها- حتى آلت حب رسول الله ﷺ كنبي ورسول ثم زوج عن حب أبيها المشرك الكافر.. إنه قمة الإيمان بالله ورسوله.. لقد وصلت بذلك أم المؤمنين -رضي الله عنها - إلى أسمى الدرجات وأظهرت مدى ولائها لله ورسوله بتلك القصة التي سطرتها كتب

السيرة والتاريخ بأحرف من نور تتعلم منها وتتعلم الأجيال القادمة قاعدة هامة في الدين هي الولاء والبراء، الولاء لله ورسوله والبراء من كل من خالفهما مهما كانت درجة قرابته وسلطانه في المجتمع.

وذهب أبو سفيان إلى أبي بكر الصديق ؓ فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ؟

فقال أبو بكر: ما أنا بفاعل.

ثم أتى عمر بن الخطاب ؓ فكلمه.

فقال له عمر: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد لكم إلا الذر لجاهدتكم به.

وذهب أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب ؓ وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ زوجته -رضي الله عنها- وعندهما ابنهما الحسن غلام فقال أبو سفيان لعلي:

- إنك أمس القوم بي رحمًا وأقربهم مني قرابة،وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبًا فاشفع لي إلى رسول الله؟

فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه!

- ويحك أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة -رضي الله عنها- فقال لها:

- يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

فقالت له رضي الله عنها:

- والله ما بلغ بني ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبي ﷺ.

فقال أبو سفيان لعلي:-

- يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليَّ فانصحني؟

قال له علي:

- والله ما أعلم شيئًا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك.

فقال أبو سفيان؟

- أو ترى مغنيًا عني شيئًا.

قال علي:

- لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد. فقال:

- أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق إلى مكة.

فلما قدم أبو سفيان على قريش قالوا:

- ما وراءك؟

قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد عليَّ، ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيرًا ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو، ثم جئت عليًا فوجدته ألين القوم، وقد أشار علي بأمر صنعته فوالله ما أدرى هل يغني عنا شيئًا أم لا؟

قالوا: بماذا أمرك.

قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت.

قالوا: هل أجاز ذلك محمدًا.

قال: لا

قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك، ما يغني عنا ما قلت.

فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

وهكذا فشلت محاولة أبي سفيان من عقد الصلح مرة أخرى بعد نقضها من قريش.

إسلام أبي سفيان يوم الفتح

كتم الرسول ﷺ أمر خروجه بالمسلمين لفتح مكة وخرج بالجيش وقوامه عشرة آلاف من المدينة متوجهًا إلى أم القرى مكة في أول شهر رمضان المبارك العام الثامن الهجري وقد مضى على هجرته ثمان سنوات ونصف.

ومضى الرسول ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري فصام وصام معه الناس حتى إذا بلغ الكديد بين عسفان وأمج أفطر. ثم نزل الظهران، ولقيه في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب الذي جاء بأهله مهاجرًا إلى الله ورسوله ومعه عبد الله بن أمية ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مر الظهران نزل فيه فأقام وقد عميتّ الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، وخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرًا ويسمعون به.

وبينما هي كذلك أخذتهم خيل المسلمين، وذهب به إلى معسكر الجيش فلقى عمر بن الخطاب ﵁ أبا سفيان فأمسك بعنقه حتى أجاره العباس بن عبد الملطب وكان صاحبًا لأبي سفيان.

وقال ابن إسحاق: وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قلت: واصباح قريش، لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر؟

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيخرجوا فيستأمنوه، قبل أن يدخل عليهم عنوة.

وبينما هو يسير حتى سمع كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعا وأبو سفيان يقول:

– ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرًا(١).

قال بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب.

قال أبوسفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

وعرف العباس صوت أبي سفيان فنادى عليه.

– **قال أبو سفيان:** مالك فدى لك أبي وأمي؟

قال العباس: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس.

فقال أبو سفيان: واصباح قريش والله، فما الحيلة فداك أبي وأمي:

قال العباس له: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك.

وركب أبو سفيان على بغلة رسول ﷺ خلف العباس ﵁ ودخل معسكر الجيش وكلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ والعباس عليها مرت بسلام، حتى مروا عمر بن الخطاب؟ فقال: من هذا وعرف أبا سفيان فقال له:

– عدو الله أبو سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؟

وأمسك عمر بن الخطاب ﵁ بأبي سفيان يريد قتله، فمنعه العباس ﵁.

وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وقال عمر:-

– يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضربن عنقه؟

(١) وكان رسول الله ﷺ أمر الجيش كله أن يشعل كل واحد نارًا حتى يرهب قريش وقد حدث.

قال العباس: يا رسول الله إني قد أجرته.

ثم جلس العباس إلى رسول الله ﷺ وأخذ برأس أبي سفيان وقال: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل.

فلما أكثر عمر في شأنه قال العباس له:

مهلاً يا عمر، أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا. ولكنك قد عرفت أنه من رجال عبد مناف.

قال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب.

فقال رسول الله ﷺ للعباس؟

– اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به.

وذهب العباس بأبي سفيان إلى خيمة فبات عنده فلما أصبح ذهب به إلى الرسول ﷺ.

فقال له: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله:

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئًا بعد.

قال ﷺ : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله.

قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا.

فقال له العباس: ويحك.. أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. قبل أن تضرب عنقك:

فأسلم أبوسفيان ونطق الشهادتين.

قال العباس: يا رسول الله أن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئًا؟

قال ﷺ : نعم.. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن.

وفي رواية قال: ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، فقد أسلم يومها حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء. ثم أمر الرسول ﷺ العباس فقال له:

– يا عباس أحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها.

فخرج العباس مع أبي سفيان حتى حبسه بمضيق الوادي كما أمر الرسول ﷺ ، ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة يقول أبو سفيان للعباس: من هؤلاء، فيجيبه العباس إنها قبيلة كذا وكذا، حتى نفذت القبائل ومر ركب رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال أبو سفيان: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟

قال العباس له:

– هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.

قال أبو سفيان:

– ما لأحدٍ بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا.

قال العباس له:

– يا أبا سفيان إنها النبوة.

قال أبو سفيان:

– فنعم إذن.

قال العباس:

- النجاء إلى قومك فانطلق أبو سفيان إلى قريش وصرخ بأعلى صوته:

- يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه امرأته هند بن عتبة فأخذت بشاربه، وقالت: اقتلوا هذا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم.

فقال أبو سفيان لهم:

- لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فقالوا له:

- قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟

قال أبو سفيان مضيفًا:

- ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

وسمع أبو سفيان سعد بن عبادة على راية قومه يقول:

- اليوم يوم الملحمة، فشكى ذلك لرسول الله ﷺ:

فقال له: كذب سعد، بل هذا يوم يعظم فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة.

وعزل الرسول ﷺ سعد بن عبادة عن راية الأنصار وأعطاها الزبير بن العوام فرحل بها.

أبو سفيان يحدث نفسه بمحاربة الرسول ﷺ

لقد كان إسلام أبي سفيان ليلة فتح مكة قسرًا ليس عن اقتناع ولكن خوفًا من القتل.. وهذا ما دعاه إلى أن يحدث نفسه وهو جالسًا بالكعبة والرسول ﷺ يصلي بها فيقول:

- لو جمعت لمحمد جمعًا؟

وفوجئ أبو سفيان بالرسول ﷺ يضرب كتفيه ويقول له:

- إذًا يخزيك الله.

فرفع أبو سفيان رأسه فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال أبو سفيان:-

- ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة(١).

وقال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيدًا أن لا يكون سمع هذا؟ فسمع منه ما يغيظ.

وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصا.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: قد علمت ما قلتم؟ ثم ذكر ذلك لهم.

فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله!! ما اطلع على هذا أحد كان

---

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية عن محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حرب عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق.. وفي رواية للبيهقي عن ابن عباس: أن أبا سفيان حين رأى رسول الله ﷺ يمشي والناس خلفه بالكعبة قال في نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده صدره. فقال: إذا يخزيك الله. فقال أبو سفيان: أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به.

معنا فنقول أخبرك.

ولعل تلك الواقعة بعد الأولى لأن أبا سفيان رفض أن يخوض معهم في الحديث، بعد ما وقع له وهو يحدث نفسه في المرة الأولى وعلم النبي ﷺ بذلك، فقال لهم: لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصا، لأنه علم أن النبي ﷺ حقًا يوحى إليه من قبل ربه عز وجل.

وروى البيهقي أيضًا أنه لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لأمرأته هند بنت عتبة: أترى هذا من الله؟

قالت: نعم هذا من الله.

وفي الصباح غدا أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له الرسول ﷺ: قلت لهند أترى هذا من الله!

قالت: نعم هذا من الله.

قال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند.

وكل تلك الآثار تدل على أن إسلام أبي سفيان في بداية الأمر كان خوفًا من القتل، ثم حسن إسلامه بعد تمام يقينه بأن محمدًا ﷺ هو رسول من عند الله وما حدث من إخباره بأمور غيبية مثل ما حدث، وأن الله راضٍ عما حدث وما رأى أول يوم دخل فيه المسلمون مكة من تهليل وتكبير وصلاة حتى صباح اليوم التالي وهذا ما دعى زوجته هند بنت عتبة أن تبايع الرسول ﷺ بعد أول يوم من فتح مكة لما رأت من الحق وعبادة الله في ذلك اليوم.

مشاركة أبي سفيان الغزوات مع الرسول ﷺ

يوم حنين: -

كانت أول غزوة للرسول ﷺ بعد فتح مكة في الخامس من شوال سنة ثمانية من الهجرة، أي بعد فتح مكة مباشرة.

وسبب تلك الغزوة ((حنين)) أن هوازن سمعت برسول الله ﷺ وما فتح عليه من مكة، جمع مالك بن عوف النضرى ملك هوازن أهل ثقيف وجشم وسعد بن بكر وبني هلال، واجتمعوا على حرب رسول الله ﷺ.

وعلم الرسول ﷺ بأمرهم فجمع المسلمين الذين جاءوا معه لفتح مكة وهم عشرة آلاف وقيل اثنى عشرة ألف وكذلك ألفين من أهل مكة الذين أسلموا يوم الفتح، وكان معه أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وقد أسلما، وخرج معه صفوان بن أمية ولم يكن قد أسلم فقد كان عفا عنه الرسول ﷺ وتركه مهلة كي يدخل في الإسلام.

والتقى الفريقين في ((حنين)) وهو مضيق بين الجبال، وعجب المسلمون بكثرة عددهم فقال بعضهم:

- لن نغلب اليوم من قلة!!

وكانت لتلك الكلمة الأثر البالغ، وحين بدأ القتال انهزم المسلمون وفروا ولم يصمد مع رسول الله ﷺ إلا القليل، ونادى في أصحابه هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.. يا أنصار الله يا أصحاب سورة البقرة....

فاجتمع إليه مائة رجل قاتل بهم وهزم الله المشركين، فلما عاد الجيش الإسلامي الذي فرَّ حين شدت عليهم المشركون من أعلى الجبل كان النصر قد

تحقق بفضل الله وحده، وعلموا أن النصر من عند الله، ليس بكثرة العدد من الرجال أو السلاح أو غيره وأنزل الله قرآنا يتلى يحكي تلك الغزوة: قال تعالى:-

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وحين أنهى المسلمون أول الأمر في تلك المعركة تكلم بعض الذين أسلموا يوم الفتح بما في قلوبهم من ضغينة للإسلام، فقد كان إسلامه لم يحسن ولم يستقر في القلوب بعد فقال البعض: ألا بطل السحر اليوم!

قالها كلدة بن الحنبل أخو صفوان بن أمية من أمه، فرد عليه صفوان وكان ما زال مشركًا:

– اسكت فض الله فاك، فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربني رجل من هوازن، وفي تلك الغزوة صبر أبو سفيان مع رسول الله ﷺ وكان قد حسن إسلامه.

وبعد هزيمة هوازن وثقيف وهروبهم أخذ رسول الله ﷺ الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم أمثال أبي سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية مائة من الإبل لكل واحد[2].. وذلك بعد أن حاصر أهل الطائف بعد أن تحصن

---

(١) الآية من سورة التوبة: ٢٥-٢٧.

(٢) قال ابن إسحاق: الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ مائة من الإبل هم: أبو سفيان ابن صخر بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام، والحارث بن كلدة، وعلقمة بن علاثة والعلاء بن حارثة الثقفي، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم، ومالك بن عوف النصري، وحويطب بن عبد العزى وعيينة بن حصن وصفوان ابن أمية، والأقرع بن حابس وذلك بعد غزوة حنين وعودته من غزوة الطائف.

من هرب من أهل هوازن وثقيف بها قرابة الشهر، ثم قسم الغنائم وبعد عودته إلى المدينة جاء أهل الطائف وهوازن وثقيف وعلى رأسهم زعيمهم وقد أعلنوا إسلامهم.

مفاوضات أبي سفيان مع أهل الطائف

حين حاصر الرسول ﷺ الطائف بعد غزوة حنين وهروب من استطاع من جيش هوازن وثقيف وتحصنهم بها، تقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفًا:

– أن آمنونا حتى نكلمكم.

فآمنوهما، فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما، وهما يخافان عليهن السباء، منهن ابنة أبي سفيان آمنة وكانت عند عروة بن مسعود، وقال الأسود بن مسعود:

– يا أبا سفيان ويا مغيرة: ألا أدلكما على خير مما جئتما له، إن مال بني الأسود ابن مسعود حيث قد علمتما وليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود وإن محمدًا إن قطعه لم يعمر أبدا، فكلماه – فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم، فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم.

ولم تفلح وساطة أبي سفيان والمغيرة بن شعبة مع أهل الطائف وعاد الرسول ﷺ للمدينة بعد حصارها شهرًا، ثم رجعوا هم إليه وقد أسلموا وعلى رأسهم مالك بن عوف.

وفي حصار الطائف قلعت إحدى عيني أبي سفيان ﷺ.

معركة اليرموك

شهد أبو سفيان معركة اليرموك بين المسلمين والروم بالشام في خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ، وكانت تلك المعركة ذات الأثر في التاريخ الإسلامي حيث

انتهى احتلال الامبراطورية القيصرية الرومية للشام، وشهدها جمع غفير من كبار الصحابة، ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال:

عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب، ومدحضة للعار ولا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق والزموا الصمت إلا من ذكر الله، في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

وخطبهم أبو سفيان قائلاً:-

- يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين من الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ بكم رضوان الله غدًا إلا الصدق في اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وأن الأرض وراءكم بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراري، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون.

ثم ذهب إلى النساء من وراء الجيش فوصاهن ثم عاد فنادى:

- يا معشر المسلمين حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم والشيطان والنار خلفكم.

ثم سار إلى مكانه في المعركة، وحرض أبو سفيان النساء فقال: من رأيتنه فارًا فاضربنه بهذه الحجارة والعصى حتى يرجع.

وقتل في هذه المعركة ثلاثة آلاف من المسلمين وكان ابن أبي سفيان يزيد يقاتل مع أبيه قتالاً شديدًا وأبيه يحفزه على القتال قائلاً:-

- يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفًا بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور

المسلمين!! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الله منك.

فقال له ابنه يزيد: أفعل إن شاء الله وحين اشتد المعركة وهدأت الأصوات عالى صوت كأنه زئير الأسد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، الله الله إنكم أنصار الإسلام ودارة العرب وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم.

وكان هذا صوت أبي سفيان بن حرب ﵁ وهو يحارب تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان(١).

وفي هذه المعركة قلعت عين أبي سفيان الأخرى، بعد أن قلعت إحدى عينيه في حصار الطائف.

وفاته

عاش أبو سفيان بعد وفاة الرسول الله ﷺ عشرون عامًا وشهد خلافة عمر ابن الخطاب ﵁، وكان عمر يحترمه ويجله ورأى أبو سفيان ولديه يزيد ومعاوية أمراء على دمشق.

وحضر خلافة عثمان بن عفان ﵁ وكانت له عنده منزلة كبيرة.

وتوفى بالمدينة عام ٣١ هـ وقيل سنة اثنين أو ثلاث أو أربع وثلاثين على الأكثر والله أعلم وله نحو التسعين عامًا..

رضي الله عنه وأرضاه.

(١) ابن كثير في البداية والنهاية باختصار وتصرف وكانت معركة اليرموك في آخر خلافة أبو بكر الصديق ﵁ وبداية عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁.

(٢) عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

الأب هو عدو الله أبو جهل.. اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرَّة بن كعب بن لؤي[1].

وكنية عمرو بن هشام أبي الحكم وسماه الرسول ﷺ أبا جهل.

والابن عكرمة ورث عن أبيه صفات الكرم والجود والشجاعة وظل يحارب معه الإسلام ورسول الإسلام حتى منَّ الله عليه بالإسلام وعفا عنه الرسول ﷺ يوم فتح مكة بعد أن أهدر دمه.

صور من حياة عكرمة قبل إسلامه

وقف عكرمة مع أبيه أبي جهل وصناديد الشرك من قريش ضد الدعوة الإسلامية، فمنذ أشرق نور الحق على مكة بأسرها وكان هناك فريقين: المسلمون وهم قلة مستضعفة والكثرة هم الكفار وقد حاربوا الرسول ﷺ، ثم قاموا بتعذيب المسلمين الأوائل الذين لا منعة لهم، وكان عكرمة أحد صناديد الشرك ومعول هدم، شارك أبيه ومشركي قريش في حروبهم الشعواء ضد الإسلام.

وشارك عكرمة في محاولة قتل الرسول ﷺ يوم الهجرة، حين اجتمعوا على بابه ليلاً قرابة الأربعين شابًا من مختلف القبائل لقتله وتفريق دمه، ولكن الله أخزاهم وأخرجه من بين أظهرهم وهو يتلو أوائل سورة يس ويحثو على رءوسهم التراب، ولم تفلح كل محاولات المشركين من النيل من رسول الله ﷺ ولا من الدعوة الإسلامية.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

عكرمة يشهد مصرع أبيه في بدر

كان أبو جهل هو المحرك الرئيسي لخروج قريش لقتال المسلمين في بدر في العام الثاني من الهجرة، ورغم اعتراض البعض على تلك الحرب إلا أن إصرار ونفوذ أبي جهل جعل قريش تلقى بأفلاذ أكبادها إلى بدر كي يلقوا حتفهم، وكان أبو جهل أحد الذين قتلوا شر قتلة في تلك المعركة.

وخرج عكرمة مع أبيه يقاتل بجواره حتى جاءه معاذ بن الجموح وقد حمل عليه يريد قتل أبي جهل، فضربه ضربت قطعت قدمه وطاحت في الهواء، فتقدم إليه عكرمة يدافع عن أبيه فضرب معاذ على عاتقه فقطع يده، وغلبه عن قتل أبيه ثم مر بأبي جهل بعد ذلك معوذ بن عفراء وقد نذر أن يقتل أبا جهل، فحمل عليه فضربه حتى برك فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل شهيدًا.

وأمر الرسول ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يلتمس أبا جهل في القتلة، وقال للمسلمين انظروا إن خفي عليكم في القتلى أثر جرح في ركبته فإني ازدحمت يومًا أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان، وكنت أشف منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبته، فجحش - خُدِشَ - في أحدهما لم يزل أثره به.

قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، وقد كان خبث بي مرة بمكة، فآذاني ولكزني، ثم قلت له:

- هل أخزاك الله يا عدو الله؟

- قال أبو جهل: وبماذا أخزاني؟! أعمد من رجل قتلتموه. أخبرني لمن الدائرة اليوم؟

قال ابن مسعود: لله ولرسوله.

وقال أبو جهل لابن مسعود: لقد ارتقيت مُرتقى صعبًا يا رويعي الغنم.

ثم احتز رأسه وجاء بها إلى رسول الله ﷺ فقال له: هذا رأس عدو الله أبي جهل.

فقال ﷺ: والله الذي لا إله غيره ((ثلاثًا)) ثم ألقاها بين يدي رسول الله ﷺ. فحمد الله وقال: الله أكبر.. الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.. ((هذا فرعون هذه الأمة)).

وهكذا شهد عكرمة مصرع أبيه ولم يغن عنه شيئًا، ونجا عكرمة بنفسه وفر هاربًا مع من بقي على قيد الحياة من المشركين يومها إلى مكة، وكان عكرمة بعد إسلامه إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجاني يوم بدر[1].

هروب عكرمة يوم فتح مكة

واستمر عكرمة يحارب الإسلام فشارك في غزوة أحد، وغيرها من الغزوات الأخرى مثل غزوة الخندق، حتى جاء يوم الفتح الأكبر وتصدى عكرمة وصفوان وسهيل بن عمرو لجيش الفتح الإسلامي، وكان نصيبه أن لقي كتيبة خالد بن بالوليد رضي الله عنه، فاشترك معها في قتال ولكنه خسر المعركة الأخيرة أيضًا وفر هاربًا، بعد أن استباح رسول الله ﷺ دمه.

وهرب عكرمة إلى اليمن.. وخشي أن يصل إليه المسلمون.. فركب سفينة تحمله إلى الحبشة، وفي عرض البحر تعرضت السفينة للغرق..

فقال ربان السفينة لركابها:-

- أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا هاهنا.

فقال عكرمة: إن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص فما ينجيني في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا حتى أضع يدي في يده فأجدنه عفوًا كريمًا.

وأنقذه الله من الغرق هو ومن معه في السفينة وعاد إلى البر.. وسأل كيف

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

الوصول إلى رسول الله ﷺ.. وقد حاربه طوال تلك السنوات وقد أهدر دمه..

عفو الرسول ﷺ عن عكرمة

وتروى كتب السيرة أن زوجة عكرمة أم حكيم بنت الحارث بن هاشم وهي ابنة عمه، قد أسلمت يوم فتح مكة، وذهبت إلى رسول الله ﷺ واستأمنته لزوجها، فأمنه الرسول ﷺ، فانطلقت الزوجة إلى زوجها كي تخبره بعفو الرسول ﷺ عنه، وأخذت معها عبدًا لها رومي وفي الطريق إلى ساحل البحر حيث هرب عكرمة إلى اليمن، وفي الطريق راود العبد الرومي أم حكيم عن نفسها وحاول التعدي عليها ولكنها استطاعت أن تخدعه حتى أتت على قبيلة من قبائل العرب في الطريق، فلجأت إليهم وأوثقوا العبد، ثم قتل.. وأتت أم حكيم زوجها عكرمة وكان على وشك العودة إلى البحر مرة أخرى، فأخبرته بعفو رسول الله ﷺ عنه، وعاد معها إلى مكة واستقبله رسول الله ﷺ قائلاً:

- مرحبًا بالراكب المهاجر.

وأسلم عكرمة بين يدي رسول الله ﷺ، وانتهت العداوة والبغضاء إلى الحب والإيثار، ويقول عكرمة لرسول الله ﷺ:-

- لا أدع مالاً أنفقت عليك إلا أنفقت في سبيل الله مثله.

وهكذا ينقلب حال عكرمة من الكفر إلى الإيمان، ومن بغض رسول الله ﷺ إلى حبه والدفاع عنه، فلا يرى عكرمة إلا وهو يقرأ القرآن في صلاته، وقد حسن إسلامه.

ولكن بعض المسلمين يلزمونه بقولهم:

- هذا ابن عدو الله أبي جهل.

فيشتكي عكرمة لرسول الله ﷺ، فينادي النبي ﷺ فيهم قائلاً:-

- لا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي. ونهاهم أن يقولوا له عكرمة ابن أبي جهل.

مواقف عكرمة بعد وفاة الرسول ﷺ

لقد صدق عكرمة الله ورسوله ونذر نفسه للجهاد في سبيل الله، فجاهد مع رسول الله ﷺ، بعد عودته إلى مكة وبعد أن صدر العفو عنه من رسول الله ﷺ.

وحين توفي الرسول ﷺ ارتدت بعض قبائل العرب، وكادت قريش أن تعود إلى الكفر، وترتد عن الإسلام، فوقف لهم عكرمة وسهيل بن عمرو، وتكلموا فيهم حتى رجعوا عما أرادوا -

فقالوا لهم: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من يرتد.

وحارب عكرمة في صفوف جيوش الإسلام التي حاربت المرتدين وكان أحد القادة الذين أرسلهم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى اليمامة لقتال المرتدين، وبعثه أيضًا إلى عمان، وانتصر عكرمة على جيوش الردة، وكتب صفحات من الجهاد والفخر في تلك الحروب.

استشهاده يوم اليرموك

وبعد حروب الردة اشترك عكرمة في حرب الروم بالشام، قاتل في معركة اليرموك قتال الأبطال وقال يومها لجيش الروم:-

- قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن وأفر منكم اليوم.

ثم نظر إلى من حوله من الأصحاب وقال لهم:

- من يبايعني على الموت.

فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور وابنه عمر بن عكرمة ومعهم أربعمائة من المسلمين، فقاتلوا خلف عكرمة أمام فسطاط خالد بن الوليد وأذهل قتال عكرمة العدو.. وظل يقاتل رغم جراحه الكثيرة.. ومن حوله يقولون له:

- اتق الله وأرفق بنفسك.

ولكنه لا يعبأ لقولهم ويرد عليهم:-

- كنت أجاهد بنفسي في اللات والعزة فأبذلها لها، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله.. لا والله أبدًا.

ويكر عكرمة على العدو ويصدق في القتال حتى ينال الشهادة هو وابنه عمرو، وقد حملا إلى القائد خالد بن الوليد فوضعهما على ساقيه وقطر في حلوقهما الماء وصعدت روحهما إلى ربهما كي يلحقوا بالفردوس الأعلى مع الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا، رضي الله عن عكرمة البطل الشهيد.

ووجد بالبطل الشهيد يومها بضعًا وسبعين طعنة ورمية وضربة، رضي الله عنه وأرضاه.

وقيل إنه قتل شهيدًا في غزوة أجنادين عام ١٣ هـ بالشام، ولكن المشهور أنه استشهد يوم اليرموك.. والله أعلم.

❁❁❁

(٤) صفوان بن أمية

(٥) فاختة بنت الوليد

(٦) كلدة بن حنبل

الأب هو أمية بن خلف بن وهب بن حزافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى بن غالب القرشي المكي.. أحد كبار الفجار الكفار بقريش.. حارب الإسلام منذ ولادته وآذى رسول الله ﷺ أشد الإيذاء، بل وعذب من أسلم بمكة.

مؤامرة صفوان لقتل الرسول ﷺ

بعد غزوة بدر الكبرى ومقتل أمية بن خلف وابنه عليّ، أراد صفوان بن أمية الثأر لمقتلهما بتحريض عمير بن وهب على قتل الرسول ﷺ بالمدينة، وكان لعمير بن وهب ابنًا له أسيرًا عند المسلمين بالمدينة.

وتروى كتب السيرة تلك المؤامرة قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، أسره رفاعة بن رافع.

فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير.

قال عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيْنٌ عليَّ ليس عندي قضاءه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة: ابني أسير في أيديهم.

قال له صفوان: أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

فقال عمير: فاكتمه وشأنك.

وبالفعل تجهز عمير بن وهب فشحذ سيفه بالسم، وانطلق إلى المدينة، وحين دخل على رسول الله ﷺ وهو بالمسجد، قال له الرسول ﷺ :

– ما جاء بك يا عمير؟

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال ﷺ : فما بال السيف في عنقك!

قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئًا.

قال الرسول ﷺ : أصدقني ما الذي جئت له؟

قال: ما جئت إلا لذلك.

فأخبره رسول الله ﷺ بما دار بينه وبين صفوان وهما في الحجر بالكعبة من حديث واتفاق على قتله.. فذهل لذلك عمير بن وهب وقال: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل من الوحي عليك، وهذا الأمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله..

وأسلم عمير بن وهب من فوره.

وعاد عمير بن وهب إلى مكة مسلمًا يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه فأسلم على يده أناسًا كثيرة.

وخاب ما سعى إليه صفوان بن أمية بعد أن كان يقول لأهل مكة قبل قدوم عمير بن وهب من المدينة: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر.. وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب وأخبره عن إسلامه

فحلف ألا يكلمه أبدًا[1].

صفوان يوم أحد

واستمر صفوان في عداوته لرسول الله ﷺ، وخرج مع أبي سفيان بن حرب لقتال المسلمين يوم أحد بعد عام واحد من غزوة بدر الكبرى.

وقاتل صفوان بن أمية يوم أحد لعله يدرك ثأره وينال من رسول الله ﷺ، ولكنه لم يستطع تحقيق ما أراد.

ويوم أحد حين اشتد إيذاء الكفار لرسول الله ﷺ دعا على ثلاثة منهم صفوان بن أمية قال: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية[2].

فنزلت الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ...﴾[3].

قال الذهبي: فتاب عليهم، فأسلموا فحسن إسلامهم، وأحسنهم إسلامًا الحارث.

واشترك صفوان في المعارك التي خاضها أهل الشرك بعد ذلك ضد المسلمين وآخرها غزوة الخندق ثم صد المسلمين عن أداء العمرة يوم الحديبية.

هروب صفوان يوم الفتح وإسلام زوجته

لما نقضت قريش المعاهدة مع رسول الله ﷺ كان صفوان وعكرمة من أسباب نقض تلك المعاهدة وذلك بالاشتراك في القتال مع بني بكر ضد خزاعة حلفاء الرسول ﷺ، وحين جاء المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ لفتح مكة،

---

(١) السيرة لابن هشام بتصرف واختصار.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، والخبر أورده ابن عساكر في تاريخه وله شواهد في الصحيح، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٧.

حاول صفوان وعكرمة وغيرهم من التصدي لجيش الفتح ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا... وأهدر الرسول ﷺ دم صفوان، وهرب صفوان بنفسه يريد «جدة» ليركب منها إلى اليمن.

ولكن فاختة بنت الألكد زوجته أسلمت مع نساء مكة وبايعت يومها.

وجاء عمير بن وهب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال له:

- يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك، ليقذف بنفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك وسلم.

قال له رسوله ﷺ: هو آمن.

قال عمير: يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك. فأعطاه الرسول ﷺ عمامته التي دخل بها مكة.

فخرج عمير بن وهب حتى أدرك صفوان وهو يريد أن يركب البحر. فقال له:

- يا صفوان فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به.

قال صفوان: ويحك! أغرب عني فلا تكلمني.

قال عمير: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك، عزه عزك وشرفه شرفك، وملكه ملكك.

قال صفوان: إني أخافه على نفسي.

قال: هو أحلم من ذاك وأكرم.

فاطمئن صفوان لكلام عمير وذهب معه إلى رسول الله ﷺ فقال صفوان:

- إن هذا يزعم أنك قد أمنتني؟

قال ﷺ: صدق.

قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين.

قال ﷺ : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.

فقد أعطاه الرسول ﷺ مهلة للتفكير في الإسلام أربعة أشهر.

صفوان وغزوة حنين

شارك صفوان في غزوة حنين مع جيش المسلمين وهو في المهلة مشركًا، واستعار رسول الله ﷺ من صفوان أدراعًا وسلاحًا، فأرسل إليه فقال ﷺ :

– يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلقى به عدونا غدًا.

فقال له صفوان:–

– أغصبًا يا محمد؟

قال ﷺ :

– بل عارية ومضمونة حتى نؤدها إليك.

قال: ليس بهذا بأس.

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، وسأله ﷺ أن يكفيهم حملها ففعل.

ثم مضى ﷺ للقاء هوازن وثقيف في حنين وخرج معه أهل مكة الذين عفا عنهم وأسلموا، وخرج صفوان وهو ما زال مشركًا.

وقاتل صفوان في صفوف المسلمين، فلما انهزم الناس ورأى رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة في أول المعركة، وقال كلدة بن حنبل وهو أخو صفوان من أمه:

– ألا بطل السحر اليوم!

يقصد أن محمد ﷺ ساحرًا ويحارب بالسحر وقد بطل سحره مع هوازن وثقيف فانهزم، ورد عليه صفوان قائلاً:

– اسكت فض الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن.

وهو يريد أن يقول لأخيه أن زعامة محمد ﷺ لقريش أفضل من أن يرأسه أحد من هوازن.

وانتصر المسلمون يومها نصرًا مؤزرًا بفضل الله وحده، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وأعطى رسول الله ﷺ من هذه الغنائم للمؤلفة قلوبهم الذين دخلوا الإسلام ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم فكان يتألفهم بالعطايا، فأعطى أبو سفيان وصفوان وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم مائة من الإبل.

إسلام صفوان

بعد أن انتصر رسول الله ﷺ في غزوة حنين وبعد حصار الطائف، ونزل الجعران وهي ماء بين مكة والطائف، ونظر صفوان إلى الغنائم، وشاهده رسول الله ﷺ ينظر إلى شعب ملأى نعمًا وشاء ورعاء فأدام النظر، فقال له ﷺ :–

– يا أبا وهب يعجبك هذا؟

قال: نعم.

قال ﷺ : هو لك.

فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي!! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله[1].

وحين أراد النبي ﷺ تعويض صفوان بعض الأدرع والأسلحة الهالكة في غزوة حنين والتي استعارها منه بالضمان فقال له ﷺ :

– إن شئت غرمتها لك؟

قال صفوان: لا، أنا أرغب في الإسلام من ذلك.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، سير أعلام النبلاء.

وقال صفوان بعد إسلامه: أتيت النبي ﷺ فأعطاني، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ(1).

وكان صفوان وأبناؤه من القوم يطعمون الطعام بمكة.

وحسن إسلامه ﷺ.

وقال الذهبي: خرج معه - أي الرسول ﷺ - كافرًا فشهد حنينًا والطائف كافرًا وامرأته مسلمة فلم يُفرَّق بينهما حتى أسلم واستقرت عنده بذلك النكاح.

ولم يُرد صفوان أن يكفر عن أعماله الماضية في الجاهلية فشارك مع المسلمين في غزواتهم وجاهد ولكنه لم ينل الشهادة وكان أميرًا على أحد يوم اليرموك.

وجاء في كتب السيرة أن صفوان قيل له: من لم يهاجر هلك. فقدم المدينة المنورة بعد إسلامه فنام في المسجد وتوسَّد رداءه، فجاء سارق فأخذه فقام إليه صفوان وأخذ السارق وجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به أن يقطع - تقطع يده - فقال صفوان: إني لم أرد ذلك هو عليه صدقة.

قال ﷺ: «فهلا قبل أن تأتيني به»(2).

وفي رواية أخرى قال صفوان: يا رسول الله من لم يهاجر هلك؟

قال ﷺ: «لا، يا أبا وهب فارجع إلى أباطح مكة»(3).

قال الذهبي: ثبت قوله ﷺ «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»(4).

---

(1) المصدر السابق.
(2) ابن عساكر في تاريخه والموطأ في الحدود مرسلاً، وأخرجه أحمد في المسند موصولاً بسند جيد وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء.
(3) أخرجه أحمد في المسند.
(4) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

وفاته

عاش صفوان بعد إسلامه يجاهد في سبيل الله، وقد حسن إسلامه وثبت عليه، وروى عن رسول الله ﷺ، وحدث عنه ابنه عبد الله، وابن أخته حميد وسعيد بن المسيب وطاوس وعطاء بن أبي رباح وجماعة.

وقيل إنه وفد على معاوية بن أبي سفيان وأقطعه زقاق صفوان، وتوفي ﷺ عام ٤١هـ في خلافة معاوية ﷺ وأرضاه.

❋❋❋

(٧) عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه

أسلم قديمًا بمكة، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد عن الإسلام والرسول ﷺ بمكة وانحاز لأهل الشرك من قريش في معاداتهم للنبي ﷺ، وأدعى أنه كان يضيف كلامًا من عنده حين كان يكتب القرآن للرسول ﷺ.

وهو أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه من الرضاعة. إنه الصحابي عبد الله بن سعد ابن أبي السرح بن الحارث القرشي العامري من عامر بن لؤى بن غالب[1].

إهدار الرسول ﷺ دمه

بعد إسلام عبد الله بن أبي السرح بمكة قديمًا لعب الشيطان بعقله، وانحاز إلى المشركين وارتد عن الإسلام فأهدر الرسول ﷺ دمه.

أسباب ارتداده

ذكر القرطبي في تفسيره لسورة الأنعام الآية (٩٣).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾.

المراد عبد الله بن أبي السرح الذي كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بالمشركين، وسبب ذلك فيما ذكر المفسرون أنه لما نزلت الآية التي في سورة المؤمنون وهي:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

دعاه النبي ﷺ فأملاها عليه فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ عجب عبد الله بن أبي السرح من تفصيل خلق الإنسان فقال:

- تبارك الله أحسن الخالقين.

فقال رسول الله ﷺ له:

- هكذا أنزلت عليَّ.

فشك عبد الله حينئذ وقال:

- لئن كان محمد صادقًا لقد أوحى إليَّ كما أوحيَّ إليه، ولئن كان كاذبًا لقد قلت كما قال:

وارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين.

فذلك قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، رواه الكلبي عن ابن عباس.

وذكره محمد بن إسحاق قال حدثني شرحبيل قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي السرح: ((ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)) ارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقبس بن صبابة ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففر عبد الله بن أبي السرح إلى عثمان رضي الله عنه وكان أخوه من الرضاعة.

قال ابن عمر: وأسلم عبد الله بن سعد بن أبي السرح أيام الفتح وحسن إسلامه.

وقال القرطبي: وهو أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش وفارس بني عامر بن لؤي المعدود فيهم، ثم ولاه عثمان بعد ذلك مصر سنة خمس وعشرين، وفُتح على يديه أفريقية سنة سبع وعشرين وغزا منها الأساود من أرض النوبة سنة أحدى وثلاثين، وهو هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم، وغزا الصوارى

(١) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

من أرض الروم سنة أربع وثلاثين، فلما رجع من وفادته منعه ابن أبي حذيفة من دخول الفسطاط بمصر، فمضى إلى عسقلان، فأقام فيها حتى قتل عثمان رضي الله عنه، وقيل بل أقام بالرملة حتى مات فارًا من الفتن، وقيل إنه توفي سنة ست وثلاثين، والصحيح أنه توفي بعسقلان سنة ست أو سبع وثلاثين.

عفو الرسول ﷺ عنه

اختبأ عبد الله بن أبي السرح عند عثمان بن عفان يوم الفتح أيامًا، ولما دعا الرسول ﷺ الناس للبيعة جاء به عثمان بن عفان حتى أوقفه على النبي ﷺ وقال: يا رسول الله بايع عبد الله.

فرفع الرسول ﷺ رأسه ونظر إليه وأبى أن يبايعه، وكرر عثمان بن عفان الشد على النبي ﷺ وطلب منه أن يستوهبه له.. وفي المرة الرابعة بايعه.. ثم أقبل الرسول ﷺ على أصحابه فقال لهم:

- أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله.

قالوا: - وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك؟ هلاّ أومأت إلينا بعينك.

قال ﷺ: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين[2].

وهكذا كان عفو الرسول ﷺ، وإسلام عبد الله مرة ثانية، وقد حسن إسلامه بعد ذلك.

جهاده في سبيل الله

تولى عبد الله مصر في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقبل ذلك ولاه عمر بن الخطاب الصعيد، وكان محمود السيرة.

وفي عهد عثمان غزا إفريقيا سنة سبع وعشرين من الهجرة، بإذن عثمان بن

(2) أخرجه أبو داود في الجهاد والنسائي في حكم المرتد - وإسناده جيد.

عفان الذي أمره على الجيوش وإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلًا، فسار عبد الله إليها في عشرة آلاف وقيل عشرون ألف وكان في الجيش عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكان جيش البربر على رأسهم الملك جرجير في عشرين ألف ومائة ألف وقيل مائتي ألف، ولما بدأت المعركة أحاط جيش البربر بالمسلمين، وطلب عبد الله بن الزبير أن يتقدم نحو ملكهم وخلفه كوكبة من المسلمين لحماية ظهره، وبالفعل كان له ما أراد وانطلق عبد الله بن الزبير نحو ملك البربر وخلفه من يحمي ظهره من شجعان المسلمين واستطاعوا اختراق الصفوف، ووصل عبد الله بن الزبير إلى ملك البربر فقتله، وبذلك تشتت جيش البربر وانهزموا وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وأصاب الفارس من جيش المسلمين ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار من الغنائم.

ثم غزا بعد ذلك ذات الصواري[1] ثم غزوة الأساود.

وولي عبد الله بن أبي السرح مصر في سنة سبع وعشرين بعد أن عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن اشتكاه أهل مصر له.

أحداث الفتنة أيام عثمان بن عفان

شهد عبد الله بن أبي السرح أحداث الفتنة التي أدت إلى مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد ثار عليه أهل مصر والكوفة واتهموه بالجور وتولية أقاربه.

(1) اشترك عبد الله بن أبي السرح في غزوة ذات الصواري مع معاوية بن أبي سفيان وغنموا مالًا كثيرًا، وكان معاوية قد ركب البحر لغزو قبرص وهي أول معركة بحرية للمسلمين، وقاتله عبد الله بن أبي السرح على الجانب الآخر وكان لهما النصر، وقد صالح معاوية أهل قبرص على سبعة آلاف دينار كل عام وصالحهم وفي هذه الغزوة ماتت الصحابية أم حرام رضي الله عنها ودفنت بالجزيرة وقبرها هناك معروف يسمى قبر المرأة الصالحة وكانت تسأل الرسول ﷺ حين بشرها أن قومًا من أمته يركبون البحر أن تكون منهم فدعا لها وتحققت النبوءة.

وطلب أهل مصر عزل أميرهم عبد الله بن أبي السرح وذهبوا إلى المدينة لذلك، وكانوا من قبل قد طلبوا من عثمان ؓ عزل عمرو بن العاص ففعل وولى عليهم ابن أبي السرح ثم طلبوا عزله أيضًا، وبالفعل استجاب أمير المؤمنين عثمان ؓ لهم وولى عليهم محمد بن أبي بكر الصديق، وفي طريق عودتهم إلى مصر ومعهم الوالي الجديد، أمسكوا غلام عثمان بن عفان ومعه خطاب إلى الأمير عبد الله بن أبي السرح يطلب فيه أمير المؤمنين قتل وصلب من جاء من أهل مصر بعزله، وعادوا معه إلى المدينة ومعهم الغلام والكتاب، وكانت الفتنة، وحاصروا بيت عثمان أكثر من شهر، ورفض عثمان ؓ حربهم وحلف لهم أنه لم يرسل الخطاب ولم يوقع عليه ولا يعرف شيئًا عنه، وكان الذي كتب هذا الكتاب ابن عمه مروان بن الحكم دون علم عثمان بن عفان ؓ، وطلب الخارجون عن طاعة عثمان أن يعزل نفسه، فرفض ذلك وانتهى الأمر بقتله على أيديهم عام ٣٥ هـ بالمدينة ؓ.

اعتزال عبد الله بن أبي السرح الفتنة

بعد تلك الأحداث الأليمة في التاريخ الإسلامي، حدثت فتن أخرى بين معاوية وعلي بن أبي طالب وبين علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله، وأيضًا بين علي والخوارج.. وأخذ عبد الله بن أبي السرح الاعتزال لتلك الفتنة والأحداث، واستقر به المقام بالرملة وهي مدينة بفلسطين عاش بها عابدًا قانتًا لله حتى وافته المنية.

وفاته

عاش عبد الله بن أبي السرح أيامه الأخيرة في الرملة بفلسطين حين خرج إليها فارًا من الفتنة.

ولما احتضر جعل يقول من الليل: أصبحتم؟

فيقولون له: لا.. فلما كان عند الصبح قال: يا هشام إني لأجد برد الصبح فانظر.

ثم دعا الله قائلاً: اللهم اجعل خاتمة عملي عند الصبح.

فتوضأ، ثم صلى، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، ثم سلم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره فقبض ؓ.

وكان وفاته سنة تسع وخمسين من الهجرة[1].

❁❁❁

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي وتاريخ دمشق لابن عساكر وقال الذهبي: الأصح وفاته في خلافة علي بن أبي طالب ؓ.

(٨) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

أبوه زعيم قريش أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي من مسلمة الفتح هو وأبيه.

أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية أخت أم جميل زوجة أبي لهب عم الرسول ﷺ، أسلمت أمه أيضًا بعد فتح مكة يوم أخذ الرسول ﷺ البيعة من أهلها.

حارب أبوه وأمه الإسلام منذ أن بزغ نوره على مكة وحتى أتم الله لنبيه فتح مكة، فدخلت الأسرة الأموية الإسلام وحسن إسلامها، وكانت لها صفحات مشرقة مضيئة في الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

ومعاوية يكنى أبو عبد الرحمن.. وهو خال المؤمنين لأن أخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ، أسلمت قديمًا بمكة وهاجرت إلى الحبشة[1].

روى عن معاوية أنه قال:

أسلمت يوم القضية - يوم الحديبية - ولكن كتمت إسلامي عن أبي، ثم علم بذلك فقال لي:

- هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومك!

فقالت له: لم آل نفسي جهدًا.

(١) من أراد المزيد من سيرة أم المؤمنين أم حبيبة وأمهات المؤمنين فليقرأ كتابنا نساء أهل البيت الناشر المكتبة التوفيقية بالأزهر.

وقال معاوية: ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء، وإني لمصدق له، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فجئته فرحب بي، وكتبت بين يديه - أي الوحي[1].

وبذلك يتضح أن معاوية أظهر إسلامه يوم فتح مكة وأنه من مسلمة الفتح ولم يهاجر.

وشارك معاوية قومه حربهم ضد الإسلام قبل الفتح فقد كان أبوه سيد مكة بعد غزوة بدر الكبرى وحتى يوم الفتح كان من أكبر أعداء دين الله ثم أسلم كرهًا يوم الفتح، ثم حسن إسلامه واشترك في الغزوات رضي الله عنه.

معاوية بعد إسلامه

بعد إسلامه يوم الفتح بمكة، كتب معاوية الوحي لرسول الله ﷺ، وشهد غزة حنين، وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم غزوة حنين وأربعين أوقيه من الذهب فقد كان من المؤلفة قلوبهم.

وشارك في حرب اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

روى أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وقد ذكر أهل السيرة أنه لما ولَّى عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام خرج إليه معاوية، فقال أبو سفيان لهند زوجته:

- كيف رأيت صار ابنك تابعًا لابني؟

وكان معاوية أخًا ليزيد بن أبيه وكلا الاثنين ابنا أبي سفيان.

فقالت له هند: إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون

(١) ابن كثير في البداية والنهاية.

فيه أبي.

فلما مات يزيد بن أبي سفيان في خلافة عمر، ولي عمر بن الخطاب معاوية بدلاً منه ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد.

فقال أبو سفيان له: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟

قال له عمر: أخوه معاوية.

ففرح أبو سفيان لذلك وقال له:

– وصلت رحمًا يا أمير المؤمنين.

وصية هند لابنها معاوية حين ولّى الشام

حين ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الشام كتبت إليه أمه هند تقول له:

والله يا بني قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت.

وقال له أبوه:

– يا بني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا، فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعًا، وقد ولوك جسيمًا من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك.

وظل معاوية واليًا على الشام في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما حتى نازع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، فكانت ولايته على الشام عشرون عامًا وكذلك كانت خلافته للمسلمين أيضًا.

معاوية يكتب الوحي للرسول ﷺ

كان معاوية بعد إسلامه يوم الفتح أحد كتاب القرآن الكريم الذي كان يتنزل على الرسول ﷺ، ويروى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قال أبو سفيان:

– يا رسول الله، ثلاثًا أعطنيهن.

قال: نعم.

قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين.

قال ﷺ : نعم.

قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك.

قال: نعم.

وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عزة بنت أبي سفيان، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة – زوجة رسول الله ﷺ .

فقال ﷺ : إن ذلك لا يحل لي.

ويروى ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:

كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء. فقلت: ما جاء إلا إليَّ، فاختبأت على باب، فجاءني فحطاني حطاة أو حطاتين.

ثم قال:

– اذهب فادع لي معاوية – وكان يكتب الوحي...

قال: فذهبت فدعوته له فقيل:

– إنه يأكل.

فأتيت رسول الله ﷺ : فقلت: إنه يأكل.

قال: اذهب فادعه.

فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل.

فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه.

قال – ابن عباس: فما يشبع بعدها[١].

وقيل إن معاوية استفاد بتلك الدعوة النبوية في دنياه وأُخراه، فكان يأكل وهو واليًا على الشام سبع مرات في اليوم، يجاء له بقصعة فيها لحم كثير ويظل يأكل منها ومن الحلوى والفاكهة الكثير، ويقول والله ما أشبع ولا أعيا – أتعب–

وأما في الآخرة فذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال:

– «**اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً، فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة**».

من فضائل معاوية

عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعونا إلى السحور في شهر رمضان:

– هلم إلى الغداء المبارك، ثم سمعته يقول:

– «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»[٢].

وقد ذكرت أحاديث كثير في فضائل معاوية لا تصح وأكثرها موضوعة.

قال ابن عساكر: وأصح ما روى في فضل معاوية حدث أبي جمرة عن ابن

(١) رواه مسلم وأحمد والحاكم في المستدرك.

(٢) رواه أحمد في المسند ورواه ابن جرير من حديث ابن المهدمي ورواه غيرهما بأسانيد مختلفة.

عباس أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم[١]. وبعده حديث العرباض بن سارية: «**اللهم علم معاوية الكتاب...**» وبعده حديث ابن أبي عميرة: «**اللهم اجعله هاديًا مهديًا**».

وروى البخاري، في كتاب المناقب عن عثمان بن الأسود عن أبي مليكة قال: أوتر معاوية بعد العشاء. وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: أوتر معاوية بركعة بعد العشاء، فقال: دعه فإنه صحب رسول الله ﷺ .

وفي رواية قال ابن عباس: أصاب، فإنه فقيه.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أمية بن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الإدواة – إناء الوضوء والطهارة – بعد أبي هريرة فتبع رسول الله ﷺ بها – وكان أبو هريرة قد اشتكى – فبينما هو يوضئ رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال:

– يا معاوية إن وليت أمرًا فاتق الله وأعدل.

قال معاوية: فما زلت أظن إني سأبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت»[٢].

وقيل إنه لم قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له:

– أنت صاحب الموكب؟

قال معاوية: نعم يا أمير المؤمنين.

قال عمر: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك.

قال معاوية: هو ما بلغك من ذلك.

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) والحديث له شواهد أخرى تقويه.

قال عمر: ولم تفعل هذا؟! لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيًا إلى بلاد الحجاز!!

قال معاوية: يا أمير المؤمنين، إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز الإسلام وأهله، ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت.

فقال له عمر: يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرين، لئن كان ما قلت حقًا إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلاً إنه لخديعة أديب.

قال معاوية: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت.

قال عمر: لا آمرك ولا أنهاك.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين: ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟

قال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه(١).

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن الخطاب كان يقول حين يرى معاوية: هذا كسرى العرب.

جهاد معاوية

اشترك معاوية في جيوش الفتح الإسلامي في خلافة الخلفاء الراشدين، فقد تم فتح قيسارية على يديه عام ١٩ هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وغزوة المضيق - القسطنطينية عام ٣٢هـ، وفتح قبرص في خلافة عثمان، وكان قائد أول غزوة بحرية في الإسلام وهي معركة ذات الصواري. وكان يغزو الروم مرتين كل عام في خلافته، مرة في الصيف ومرة في الشتاء، وحاصر مدينة القسطنطينية ومعه جماعة كبيرة من الصحابة، وقال ابن كثير: وقد ثبت في

(١) جشم الأمر أي تكلفه على مشقة، والأثر رواه ابن أبي الدنيا وأورده ابن كثير في البداية والنهاية.

الصحيحين «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم».

خلافه مع علي بن أبي طالب

استمرت ولاية معاوية للشام عشرون عامًا منذ عهد إليه عمر بن الخطاب بها ثم عثمان بن عفان -رضي الله عنهما-.

وفي عام ٣٥ هـ حدثت الفتنة وانتهت بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ على أيدي الخارجين عليه من أهل مصر والكوفة، وبايع المهاجرون والأنصار الإمام علي بن أبي طالب بالخلافة.

وروى ابن عساكر بسنده أن الإمام علي بن أبي طالب بعد أخذ البيعة من المهاجرين والأنصار بالمدينة بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية قبل وقعة صفين، وذلك حين عزم على قصد الشام، وجمع الجيوش لذلك، وكتب معه كتابًا يذكر فيه أنه قد لزمته بيعته، لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار، فإن لم تبايع استعنت عليك بالله وقاتلتك، وقد أكثرت القول في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليَّ أحملك وإياهم كتاب الله.

فقرأه معاوية على الناس وقام جرير فخطب الناس، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة، وحذره من المخالفة والمعاندة، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس وأن يضرب بعضهم بعضًا بالسيوف.

فقال معاوية: انتظر حتى آخذ رأي أهل الشام، فلما كان بعد ذلك أمر معاوية مناديًا فنادى في الناس: الصلاة جامعة.

فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال:

الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركانًا، والشرائع للإيمان برهانًا، يتوقد مصباحه بالسنة في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده فأهلها أهل الشام رضيهم لها، ورضيها لهم، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أولياءه فيها، والقوام بأمره، الدابين عن

دينه وحرماته، ثم جعلهم لهذه الأمة نظامًا، وفي الملاح الخير عظامًا، يردع الله بهم الناكثين، يجمع بهم الألفة بين المؤمنين...

ثم قال: اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائمًا، ويخيفون آمنًا، ويريدون هراقه دمائنا، وإخافة سبلنا، وقديعلم الله إنا لا نريد لهم عقابًا، ولا نهتك لهم حجابًا غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوبًا لن ننزعه طوعًا ما جاوب الصدى، وسقط الندى وعُرف الهدى. وقد علمنا أن الذي حملهم على خلافنا البغي والحسد لنا فالله نستعين عليهم...

أيها الناس.. قد علمتم أني خليفة عمر بن الخطاب وأني خليفة عثمان عليكم، وأني لم أقم رجلاً منكم على خزاته قط، وإني ولي عثمان وابن عمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾[1]. وقد علمتم أنه قتل مظلومًا، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقال أهل الشام كلهم مجتمعين على الطلب بدم عثمان، وأجابوا معاوية وبايعوه على ذلك.

وطلب معاوية من علي بن أبي طالب أن يوليه الشام ومصر وأنه يبايعه على ذلك.

ورفض علي بن أبي طالب ؓ أن يولى معاوية بن أبي سفيان الشام ومصر وقد أشار عليه البعض بذلك، وأرسل معاوية إلى عمرو بن العاص الذي كان معتزلاً بفلسطين واستشاره في الأمر فاجتمعا على حرب علي بن أبي طالب.

وقد سئل معاوية[2]: أنت تنازع عليًا أم مثله؟

فقال: والله إني أعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب دمه وأمره إليّ؟ فقولوا له - أي علي:-

(١) سورة الإسراء: ٣٣.

(٢) سأله أبا مسلم الخولاني وجماعة معه.. وذكره ابن كثير في ترجمة معاوية في البداية والنهاية.

فليسلم لي قتله عثمان وأنا أسلم له أمره.

وذهبوا إلى عليّ كي يسلم بطلبات معاوية له ويبايعه، فلم يدفع إليهم أحد، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال والحرب.

وهكذا دارت الحرب بين أهل الشام بقيادة معاوية وأهل العراق ومن شايعهم من المدينة والصحابة بقيادة علي بن أبي طالب.. وحجة معاوية أنه يطالب بدم ابن عمه عثمان بن عفان ؓ الذي قتل مظلومًا حقًا وبين علي بن أبي طالب ؓ الذي تولى الخلافة وبايعه المسلمون والمهاجرون والأنصار، ورفض الانصياع لطلبات معاوية بل وعزله من إمارة الشام.

ودارت المعارك بينهما في صفين وكان النصر لعلي بن أبي طالب ؓ، وطالب معاوية وعمرو بني العاص التحكيم ورفعوا المصاحف، واستجاب لهم علي بن أبي طالب ؓ ثم حدثت الخدعة في التحكيم ولم يتوصلوا إلى حل مرضي، وخرجت جماعة على الإمام علي من جيشه وهم الخوارج الذين دبروا أمر قتله وقتل معاوية وقتل عمرو بن العاص رضي الله عنهم، ولكن معاوية نجا من القتل وجرح جرحًا شفي منه، ونجا عمرو بن العاص، وقتل الإمام علي بن أبي طالب وهو ذاهب إلى صلاة الفجر وهكذا انتهت الفتنة مؤقتًا، وتولى الخلافة بعد علي بن أبي طالب ابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما، وما زالت الحرب دائرة بين أهل العراق والشام، ولكن الإمام الحسن بن علي - رضي الله عنهما- رضى بالصلح مع معاوية بن أبي سفيان بعد أن ظل في الخلافة قرابة الستة أشهر، وتنازل عن الخلافة إلى معاوية وسمى هذا العام بعام الجماعة وهو عام ٤١ هـ.

خلافة معاوية

وظل معاوية خليفة للمسلمين عشرون عامًا إلا أشهر قليل أي منذ عام ٤١هـ إلى ٦٠هـ[1].

(١) بويع لمعاوية بالخلافة بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب عام ٤٠هـ وبويع أيضًا بالخلافة للحسن بن علي ولكن اجتمع المسلمون على خلافته عام ٤١هـ وتنازل له الحسن عنها.

قال عنه ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية.

وقيل إنه قال عن نفسه: أنا أول الملوك وآخر خليفة.

والحقيقة أن الخلافة الراشدة ظلت بعد رسول الله ﷺ ثلاثون عامًا ثم أصبحت ملكًا كما قال ﷺ: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا عضوضًا(١).

وقد انتهت الخلافة بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الأمر لمعاوية عام ٤١هـ وقد بدأت بعد وفاة رسول الله ﷺ وتولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عام ١١هـ يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وهكذا اجتمعت الثلاثون عامًا.

وقد اشتهر معاوية بالحلم والكرم وقوة الاحتمال، والاهتمام بمظاهر الحكم.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في وصف معاوية: كان معاوية طويلاً أبيض جميلاً، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب - أي شعره بالحناء.

وقيل إنه كان يصفر شعره ولحيته كأنها الذهب.

واستطاع معاوية بدهائه القضاء على الخوارج واستقر له الأمر، وفي خلافته فتحت بلاد كثيرة مثل سجستان وودان من برقه وكور من بلاد السودان عام ٤٣هـ، وبلاد القيقان في عام ٤٥هـ وغيرها من البلاد.

وفي عام ٥٠ هـ أحدث معاوية أمرًا جديدًا في نظام الحكم ظل ساريًا حتى الآن وهو ليس من الإسلام في شيء وهو ولاية العهد، فقد ولى العهد في حياته من بعده لابنه يزيد بن معاوية وأخذ البيعة من المسلمين في الأمصار بذلك، وحجته في ذلك عدم حدوث الفتنة على الحكم من بعده، وهكذا تحققت نبوءة

(١) ابن كثير في البداية والنهاية والحديث الذي رواه أحمد في مسنده «**الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك**» وأخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان.

الرسول الأعظم ﷺ حيث قال: «**إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا وجبرية**»(١).

ولكن الأمر بعد موته لم يتم بالاتفاق على يزيد ابنه بل خرج عليه عبد الله ابن الزبير بن العوام والخوارج وكثرت الحروب والفتن.

وفاته

توفي رضي الله عنه عام ٦٠ هـ في شهر رجب من الهجرة عن عمر يناهز سبعًا وسبعين عامًا، وكان عنده شيء من شعر الرسول ﷺ وقلامة أظافره فأوصى أن تدفن معه وتجعل في فمه، ودفن بالشام رضي الله عنه.

❁❁❁

(١) ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء وقال حديث حسن.

(٩) يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه

عشرون عامًا منذ أن أشرف الإسلام على مكة وحتى يوم الفتح الأعظم قضاها يزيد بن أبي سفيان على دين قومه.

ظل معاديًا للإسلام منذ أن أشرق نوره على الدنيا، ولم يخالف أبيه ولا قومه في عداوته لرسول الله ﷺ، فقد كان أبوه أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية سيد قومه، وسيد قريش بعد غزوة بدر الكبرى ومقتل زعمائها، وأخوه معاوية بن أبي سفيان مناصرًا لأبيه وقومه، وهو معهم في ذلك.

أسلم يوم فتح مكة وعفا عنه الرسول ﷺ، وحسن إسلامه.

وكان يزيد أكبر سنًا من معاوية[1]، وكنيته أبو خالد وكان يسمى يزيد الخير.

جهاده في سبيل الله

بعد إسلامه عام الفتح، حسن إسلامه واشترك مع الرسول ﷺ في غزوة حنين، وأعطاه الرسول ﷺ مائة وأربعين أوقية مثلما أعطى أخوه معاوية وأبيه والمؤلفة قلوبهم من مسلمي الفتح.

وفي عهد الصديق رضي الله عنه أرسله إلى الشام على ربع الجيش أميرًا، وهو أول أمير وصل إليها، وذلك عام ١٣هـ، وكان الصديق رضي الله عنه قد أرسل جيوشًا إلى العراق، فعقد لواء يزيد بن أبي سفيان ومعه جمع من الصحابة ومسلمي الفتح مثل سهيل بن عمرو، وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماشيًا يوصيه، وجعل له نيابة مدينة حمص من الشام، وبعث عمرو بن العاص ومعه جيش آخر إلى فلسطين،

(١) كان أخو معاوية من أبيه، فأمه هي زينب بنت نوفل الكنانية وهو أخو أم حبيبة أم المؤمنين -رضي الله عنها-.

وجهز غيرهم من الجيوش والأمراء.

وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يودع أمير الجيش يزيد بن أبي سفيان ماشيًا ويزيد راكبًا فجعل يوصيه، فلما فرغ قال:

- أقرئك السلام وأستودعك الله ثم انصرف ومضى يزيد بن أبي سفيان وجدَّ في السير، وسلك طريق تبوك.

واشترك يزيد في معركة اليرموك وكان أحد أمراء الجيش الأربعة، وكانوا أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن معاوية.

ولما تراءى الجمعان يوم اليرموك، فقاتل يزيد ودافع وثبت، وكان تحت رايته أبوه أبو سفيان بن حرب الذي أبلى بلاء حسنًا يوم اليرموك وخطب المسلمين وحث على القتال، كما ذكرنا في سيرته.

وذكر ابن كثير في تاريخه أن يزيد بن أبي سفيان قاتل قتالاً شديدًا، وأن أباه أبا سفيان بن حرب قال له:

- يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفًا بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر والحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك.

فقال يزيد لأبيه: أفعل إن شاء الله.

فقاتل قتالاً شديدًا رضي الله عنه وكان ناحية القلب من الجيش.

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال:

هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتًا يكاد يملأ العسكر يقول:

- يا نصر الله اقترب، الثبات، الثبات يا معشر المسلمين.

قال الرواي: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد.

وانتصرت جيوش الإسلام يومها نصرًا عزيزًا مؤزرًا على جيوش الروم.

ودخل يزيد بن أبي سفيان دمشق من باب الجابية بجيشه عنوة، وكان أبو بكر الصديق قد وعده بولايتها، فلما توفى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وعده الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان فكان أول من تولاها رضي الله عنه، وظل في ولايته لدمشق ومعه أخيه معاوية.

وفاته

توفى رضي الله عنه في طاعون عمواس بالشام مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨هـ ، وكان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأنفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه له ذلك، فقد مات شهيدًا بالطاعون على المشهور[(١)].

❁❁❁

(١) قيل إنه توفى سنة ١٩ هـ بعد ما فتح قيسارية ولكن المشهور والصحيح استشهاده في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح -رضي الله عنهم-.

(١٠) هند بنت عتبة رضي الله عنها

امرأة ذات فصاحة وبلاغة وحسن وجمال ورجاحة عقل، أبوها من رجال قريش وساداتها في الجاهلية، إنه عتبة بن ربيعة.

عادى الإسلام منذ البداية، أسلم ابنه حذيفة بن عتبة وهاجر وكان من المسلمين الأوائل بمكة، وظل عتبة على كفره حتى قتل يوم بدر الكبرى في المبارزة التي جرت أول المعركة وقتل معه أخوه شيبة وابنه الوليد.

هند وزوجها الأول

تروي كتب السيرة أن هند كانت عند الفاكهة بن المغيرة المخزومي في الجاهلية، وكان الفاكهة من رجال قريش المشهورين بالجود والكرم والضيافة، وكان له بيت للضيافة من البيوت التي يغشاها الناس من غير إذن، وذات يوم خلا البيت فاضطجع هو زوجته هند فيه، ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن يغشى البيت فولجه، فلما رأى هند بالبيت رجع مسرعًا، وأبصره الفاكهة، فأقبل إلى زوجته هند يضربها برجله وقال لها:

- من هذا الذي خرج من عندك؟

قالت له: ما رأيت أحدًا ولا انتبهت حتى أنبهتني.

فقال لها: ارجعي إلى أمك.

وتكلم الناس فيها وقال لها أبوها:

- يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك فبيني نبأك فإن يك الرجل عليك صادقًا دسست عليه من يقتله، فتنقطع عنك المقالة، وإن يك كاذبًا حاكمته إلى بعض كهان اليمن.

فقالت له – لا والله ما هو عليّ بصادق.

فقال أبوها لزوجها: يا فاكهة إنك قد رميت بنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن.

فخرج الفاكهة في جماعة من بني مخزوم، وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف، ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا: غدًا نرد على الرجل.

فتنكرت حال هند، فقال لها أبوها: إني أرى ما حل بك من تنكر الحال وما ذاك إلا مكروه عندك . قالت: والله يا أبتاه ما ذاك مكروه ولكني أعرف إنكم تأتون بشرًا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني ميسمًا يكون عليَّ سُبّه.

فقال لها: إني سوف أختبره لك.

فصفر بفرسه حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة بر وأوكا عليها بسير.

فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم وتحرسهم فلما قعدوا قال له عتبة:

– جئناك في أمر وقد خبأت لك خبأ أختبرك به فانظر ما هو؟

قال الكاهن: ثمرة في كمرة.

قال عتبة: إني أريد أبين من هذا.

قال الكاهن: حبة بر في أحليل مهر.

قال عتبة: صدقت.. انظر في أمر هؤلاء النسوة.

فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: انهض حتى دنا من هند فقال لها:

– انهضي غير رسماء ولا زانية ولتلدن ملكًا يقال له معاوية.

فنهض إليها زوجها الفاكهة فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت له زاجرة:

– إليك عني فوالله لأحرص أن يكون ذلك من غيرك.

وبعد أن ثبتت براءتها، رفضت الرجوع إلى زوجها الفاكهة وطلقت منه، وقالت لأبيها عتبة:–

– إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليَّ.

وقال لها: لك ذاك.

زواجها من أبي سفيان بن حرب

تروي كتب السيرة والتاريخ قصة زواجها من أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية تلك الرواية: خطب هند رجلان من أشراف قريش فقال لها أبوها: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسميًا لك واحدًا منهما حتى أصفه لك.

أما الأول: ففي الشرف الصميم والحسب الكريم، تخالين به هوجًا من غفلته، وذلك إسجاح من شيمته، حسن الصحابة سريع الإجابة، إن تابعتيه تبعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك عن مشورته.

وأما الآخر: ففي الحسب الحسيب والرأي الأريب، بدر أرومته وعز عشيرته، يؤدب أهله، ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعّر عليهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، صعب حجاب القبة، إن حاج فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور، وقد بينت لك كليهما.

فقالت له هند: أما الأول فسيد مضياع لكريمته، موات لها فيما عسى أن تقتص أن تلين بعد آبائها وتطيع تحت خبائها إن جاءته بولد أحمقت، وإن أنجبت ففي خطأ ما أنجبت، إطو ذكر هذا عني ولا تسميه ليّ.. وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة، إني لأخلاق هذا لوامقة وإني له لموافقة وإني لآخذه بأدب البعل مع لزومي قبتي وقلة تلفُتي، وإن السليل بيني وبينه لحرى أن يكون المدافع عن حريم عشيرته الذائد عن كتيبتها المحامي عن حقيقتها، المثبت لأرومتها غير مواكل ولا زميل عند صعصعة الحروب.

قال لها أبوها: ذاك أبو سفيان بن حرب.

قالت: فروجه ولا تلق القاء السلس ولا تسمه سوم الضرس ثم استخر الله في السماء يخير لك في القضاء[١]. وتزوجت أبا سفيان وأنجبت له معاوية وعتبة.

عداوة هند للإسلام

شاركت قومها وزوجها عداوتهم للإسلام منذ البداية، وحين التقى الفريقان يوم بدر الكبرى كان أبوها وأخوها وعمها من قتلى ذلك اليوم، وكان لحمزة ابن عبد المطلب النصيب الأوفر في قتلهم، ظلت هند ترثى أهلها، ولا تظهر هذا الحزن حتى لا يشمت فيها المسلمون.

وقابلت هند في الموسم الخنساء شاعرة العرب وكانت تبكي أخويها صخر ومعاوية وأبيها عمرو بن الشريد فقالت لها الخنساء: - من أنت يا أُخية.

قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فيم تعاظمينهم.

قالت الخنساء: بأبي عمرو بن الشريد وصخر ومعاوية، وبم تعاظمينهم أنت؟

قالت هند: بأبي عتبة بن ربيعة وأخي الوليد.

وأنشدت الخنساء تقول:

أبكي أبي عمرًا بعين غزيرة	**قليل إذا نام الخلي هجودها**
وصنوى لا أنسى معاوية الذي	**له من سراة الجرتين وفودها**
وصخرًا ومن ذا مثل صخر إذا غدا	**بسلبه الأبطال قبا يقودها**
فذلك يا هند الرزية فاعلمي	**ونيران حرب حيث شب وقودها**

فقالت هند ترد عليها:-

أبكي عميد الأبطحين كليهما	**وحاميها من كل باغ يريدها**

(١) أعلام النساء لعمر كحالة.

أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي	**وشيبة والحامي الذمار وليدها**
أولئك آل المجد من آل غالب	**وفي العز منها حين ينمي عديدها**

هند يوم أحد

خرجت قريش لقتال المسلمين بعد عام من غزوة بدر الكبرى، وكان يقودها كبير قريش وسيدها يومها أبو سفيان زوج هند، وخرجت هند معه في خمس عشرة من نساء قريش وكن يضربن الدفوف خلف الرجال ويحرضن فقالت هند:

إن تقبلوا نعانق	**ونفرش النمارق**
أو تدبروا نفارق	**فراق غير وامق**

ودعا جبير بن مطعم غلامًا له عبدًا يسمى وحشي يقذف بالحربة له قذف الحبشة فلا يخطئ بها، فقال له سيده جبير بن مطعم:-

- اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق.

- وخرج وحشي مع جيش الكفر يوم أحد لهذا الهدف.. قتل الحمزة أسد الله.

وكان وحشي كلما مر بهند بن عتبة أو هي مرت به تقول له: ويهًا أبا دسمة اشف واشتف.

فكانت تحرضه على قتل الحمزة وجعلت له جائزة إن قتله.. واستطاع العبد الحبشي وحشي قتل الحمزة بن عبد المطلب غدرًا بحربته يومها، ونال حريته وجائزته من هند بن عتبة، فقد أعطته يومها قلائدها وقرطها.

ويوم أحد لم تكتف هند بن عتبة بمقتل حمزة بن عبد المطلب بل مثلت به وبقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها فبلغ ذلك

الرسول ﷺ فقال:-

- لو أساغتها لم تمسسها النار، إن الله حرم النار على أن تذوق من لحم حمزه شيئًا أبدًا.

وبعد انتهاء المعركة وقفت هند على صخرة علية وهى تصرخ في المسلمين بأعلى صوتها:-

نحن جزيناكم بيوم بدر — والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر — ولا أخي وعمه بكري
شفيت نفسي وقضيت نذري — شفيت وحشي غليل صدري
حتى ترم أعظمي في قبري — فشكر وحشي عليَّ عمري

إسلامها يوم فتح مكة

مضت عشرون عامًا على المعاندة والكفر، ولم يشرق الإيمان بقلبها، وظلت على عداوتها وحقدها حتى جاء نصر الله والفتح.

ودخل الرسول ﷺ مكة فاتحًا لها، وجاءه أبو سفيان يطلب الأمان لأهله وله، وأسلم بين يدي الرسول ﷺ، وأعطاه الرسول ﷺ الأمان، فقال له: من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

وجاء أبو سفيان إلى قومه يعلن لهم إسلامه فقال:

- يا معشر قريش، ألا إني قد أسلمت فأسلموا، فإن محمدًا قد أتاكم بما لا قبل لكم به.

فأخذت هند زوجته برأسه وهى تصيح:-

- بئس طليعة القوم أنت، والله ما خدشت خدشًا، يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه.

وفي اليوم التالي لدخول الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين مكة، جاءت هند إلى زوجها أبي سفيان تقول له: إنما أريد أن أتابع محمدًا

- **فقال لها في دهشة واستغراب؟**

- قد رأيتك تكرهين هذا الحديث أمس.

قالت: إني والله ما رأيت أن عُبدَ الله حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا.

قال: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك.

فذهبت إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعها نسوة ممن أسلمن من أهل مكة، فذهب واستأذن لها، فدخلت متنقبة متنكرة، خوفًا من أن يأخذها الرسول ﷺ بما فعلته بالحمزة عمه يوم أحد.

وأخذ النبي ﷺ البيعة على النساء وبينهن هند، فقال لهن:

- تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئًا.

فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه.

فقال: ولا تسرقن.. ولا تزنين

فقالت له: يا رسول الله، هل تزني الحرة.

قال ﷺ: وإنك لهند بنت عتبة؟ فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف، عفا الله عنك.

وعفا عنها الرسول ﷺ يومها وقبل البيعة منها.

وحين قال يومها الرسول ﷺ في البيعة.

- ولا تقتلن أولادكن.

قالت له: قد ربيناهم صغارًا، وقتلتهم يوم بدر كبارًا فأنت وهم أعلم.

فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب.

وحين قال ﷺ للنساء:-

- ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن.

قالت هند: والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل.

قال: ولا تعصينني في معروف.

قالت هند: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف.

فقال الرسول ﷺ لعمر: بايعهن واستغفر لهن الله

- فبايعهن عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء أبدًا، ولا يمس امرأة لا تحل له.

وذكرت له هند أن أبا سفيان رجل شحيح- أي بخيل - فهل نأخذ من ماله دون علمه؟

فأجاز لها أن تأخذ من ماله دون علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف.

وحسن إسلامها

وبعد البيعة والعفو يوم الفتح الأعظم، حسن إسلامها، وطهر الله قلبها ونزع ما فيه من الحقد، وأرادت أن تظهر حبها للإسلام ورسول الإسلام ﷺ فأرسلت: إلي رسول الله ﷺ بهدية وهو بالأبطح مع مولاة لها بجديين مشويين وسقاء من جلد، وكان النبي ﷺ بين نساءه أم سلمة وميمونة ونساء من نساء بني عبد المطلب فقالت له جارية هند وهي تقدم الهدية:-

- إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدايا وهي معتذرة إليك وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة.

فقال لها الرسول الكريم ﷺ؟

- بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها.

وعادت الجارية إلى سيدتها هند فأخبرتها بدعاء الرسول ﷺ لها فسرت

بذلك، وكانت الجارية تقول فيما بعد:-

- لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها ما لم نكن نرى من قبل ولا قريب.

فتقول هند: هذا دعاء رسول الله ﷺ وبركته، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام.

وكانت هند تفخر بابنها معاوية وتظن أنه سيكون له شأن عظيم في الإسلام فقالت له حين ولاه عمر الشام:

- والله يا بني إنه لقلما ولدت حرة مثلك، وقد استنهضك هذا الرجل، فاعمل بموافقته، أحببت ذلك أم كرهته.

ومن أقوالها المشهورة بها:

المرأة غل ولابد للعنق منه، فانظر من تضعه في عنقك، إنما النساء أغلال فليتخذ الرجل غلاً ليده(1).

وقال عنها ابنها معاوية:-

- أما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمه الخير.

وكان يفخر بها معاوية فيقول:

- أنا ابن هند.

وروت هند عن النبي ﷺ وروى عنها ابنها معاوية وعائشة -رضي الله عنهم أجمعين-.

وفاتها

عاشت هند حياة الحب والإيمان بعد إسلامها، وشاركت مع زوجها أبي سفيان في معركة اليرموك، وكانت تحرض على القتال، وتوفيت في خلافة

---

(1) سير أعلام النبلاء.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٤ هـ في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة أبو الصديق الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهكذا كان عفو الرسول الكريم ﷺ سببًا في إسلامها ونجاتها من النار، -رضي الله عنها وأرضاها-.

❁❁❁

(١١) عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه

كان أحد شياطين قريش، أظهر عداوته للإسلام منذ البداية، وكان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة.

إنه عمير بن وهب الجمحي القرشي صديق أمية بن صفوان.

اشترك في حرب المسلمين يوم بدر الكبرى هو وابنه وهب بن عمير، فأسر وهب يومها، أسره رفاعة بن رافع رضي الله عنه.

اتفاقه مع صفوان على قتل الرسول ﷺ

ظل عمير بن وهب على عداوته وكراهيته لرسول الله ﷺ حتى غزوة بدر الكبرى التي قتل فيها صناديد الشرك من قريش، وأسر ابنه، ونجا هو بنفسه يومها.

وازدادت الكراهية بعد غزوة بدر الكبرى، وجلس عمير بن وهب مع صديقه الحميم صفوان بن أمية بن خلف الذي قتل أبوه في يوم بدر وأقاربه وكبراء قريش من المشركين، فذكر أصحاب القليب ومصابهم وكانا يجلسان في الحجر بالمسجد الحرام بجوار الكعبة، فقال صفوان.

- والله ما إن في العيش بعدهم خير.

قال له عمير: صدقت أما والله لولا دين عليَّ ليس عند قضاءه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم عِلَّة، ابني أسير في أيديهم.

واغتنم صفوان الفرصة وألقى الشيطان في قريحته المؤامرة الشيطانية.

فقال لعمير: -

Scanned by CamScanner

– عليَّ دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ولا يعجز عنهم.

فقال له عمير:–

– فاكتم عليَّ شأني وشأنك.

قال صفوان: سأفعل.

وجهز عمير سيفه وشحذه ووضع عليه السم، ثم انطلق إلى المدينة كي ينفذ ما اتفق عليه مع صفوان.

ولكن الله الذي يعلم السر وأخفى، علام الغيوب قد أطلع رسوله ﷺ على تلك المؤامرة قبل أن يصل عمير بن وهب إلى المدينة، فهوالقائل جل شأنه:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وأراد الله بعمير الخير أيضًا، وهذا ما يتضح من سياق القصة، فتقول الرواية وهي في كتب السيرة[1].

وقدم عمير المدينة، فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب، وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحًا السيف، فقال: –

– هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر.

ودخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وقال له:–

– يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه.

قال له ﷺ:

(١) السيرة النبوية لابن هشام وغيره.

– فأدخله عليَّ.

فأقبل عمر بن الخطاب حتى أخذ بحمالة سيف عمير في عنقه فلببه بها، وقال لمن معه من الأنصار:–

– ادخلوا على رسول الله فأجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون.

ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال لعمر:

– أرسله يا عمر.

فتركه عمر فقال له الرسول ﷺ:–

– أدن يا عمير.

فدنا ثم قال: أنعم صباحًا.

فقال له الرسول ﷺ:

– قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، السلام تحية أهل الجنة.

قال عمير: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال ﷺ:

– فما جاء بك يا عمير؟

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال ﷺ:

فما بال السيف في عنقك؟

قال عمير: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئًا؟

قال ﷺ:

أصدقني ما الذي جئت له؟

قال: ما جئت إلا لذلك!!

قال له ﷺ :

– بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

وهنا نزع عمير بن وهب وأدرك أن الذي أمامه ليس بشرًا عاديًا وإنما هو رسول الله ﷺ يوحى إليه من قبل الحق سبحانه وتعالى فلم يملك نفسه إلا أن قال:

– أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق.

ثم شهد شهادة الحق.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من الصحابة:

– فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره.

وبالفعل قام الصحابة بضيافة عمير بن وهب وعلموه الصلاة والقرآن وأسس الإسلام وأركانه، حتى جاء وقت الرحيل فقال لرسول الله ﷺ :

– يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي

أصحابك في دينهم.

وأذن له الرسول ﷺ في ذلك، فلحق بمكة داعيًا إلى الله ورسوله.

صفوان ينتظر خبر مقتل الرسول ﷺ

وبينما الأحوال تسير على ما يرام بالمدينة، وقدم قومها عمير بن وهب والشر يملأ كيانه وقد هداه الله للإسلام، كانت الأمور تسير في مكة على عادتها من الشرك والكفر وعبادة الأصنام، والأحزان لقتل أهلها يوم بدر، وصفوان ينتظر الأخبار السارة التي سوف تخفف عن أهل مكة مصابهم، فكان يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر!!

وظل صفوان يسأل الركبان عن أخبار حدثت بالمدينة، فلا يجد أي خبر، حتى أخبره أحد الركبان أن عمير بن وهب أسلم في المدينة، فحزن صفوان لذلك وحلف ألا يكلم عمير بن وهب، ولا ينفعه بنفع أبدًا.

وقدم عمير بن وهب إلى مكة داعيًا إلى الله ورسوله ﷺ ، ويؤذي من خالفه أذى شديدًا، وأسلم على يديه ناس كثير.

يوم الفتح الأعظم

يوم فتح مكة خرج صفوان بن أمية فارًا بنفسه إلى «جدة» وهي الميناء المعروف منذ القدم كي يركب إحدى السفن الذاهبة إلى اليمن.

وعلم عمير بن وهب بما نوى صديقه أن يفعل، وقد أهدر النبي ﷺ دمه، فقال لرسول الله ﷺ :

– يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف بنفسه في البحر، فأمنه يا رسول الله ﷺ .

فقال له الرسول ﷺ : هو آمن.

فقال عمير: يا رسول الله، أعطني آية يعرف بها أمانك؟

فأعطاه الرسول ﷺ عمامته التي دخل بها مكة.

وخرج عمير بن وهب إلى «جدة» حتى أدرك صفوان بن أمية وهو يريد أن يركب البحر فقال له:

- يا صفوان، فداك أبي وأمي.. الله الله في نفسك أن تهلكها.. هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به.

فاطمأن صفوان لحديث عمير ورجع معه إلى مكة حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال له:

- إن هذا يزعم أنك قد أمنتني.

قال ﷺ: صدق.

قال صفوان لرسول الله ﷺ:

- فاجعلني بالخيار فيه شهرين.

قال ﷺ: أنت بالخيار أربعة أشهر. وأسلم صفوان بعد غزوة حنين وهي بعد فتح مكة كما ذكرنا في سيرته.

وهكذا كان عمير بن وهب سببًا في العفو عن صفوان بن أمية، وإسلامه بعد ذلك ونجاته من العذاب في الآخرة.

رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

(١٢) ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه

إنه من سادات بني حُنَفى المعروفين في زمانه، وهو من ملوك اليمامة.. إنه ثمامة بن أثال الحنفي.

أرسل إليه الرسول ﷺ يدعوه وقومه إلى الإسلام في السنة السادسة من الهجرة، كما أرسل إلى غيره من القادة والملوك.

رفض ثمامة دعوة الرسول ﷺ للإسلام، وأخذته العزة بالأثم، بل غره شيطانه وضحك عليه، فأراد قتل النبي ﷺ والقضاء على دعوته!!

ولما لم يستطع النيل من رسول الله ﷺ، دار إلى أصحابه ﷺ حتى قتل بعضهم، فأهدر الرسول ﷺ دمه، وأصبح من المفسدين في الأرض، فقد حارب الله ورسوله.

وتروى كتب السيرة[1] أن ثمامة خرج معتمرًا إلى مكة وفي الطريق، تعرضت له سرية من خيل رسول الله ﷺ، فأسرته وهي لا تعرف من هو!

وجاءوا بالأسير إلى النبي ﷺ وقد ربط في أحد سواري المسجد النبوي حتى يرى فيه الرسول ﷺ أمره.

وخرج إليه النبي ﷺ فعرفه، وقال لأصحابه:

- أتدرون من أخذتم؟

فقالوا: لا يا رسول الله.

قال: هذا ثمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إساره.

ورجع الرسول ﷺ إلى أهله.

---

(١) السيرة لابن هشام والإصابة لابن حجر وغيرهما.

فقال لهم: أجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه.

وأمر ﷺ بناقته أن تحلب ويشرب منها، وتم لثمامة كل ذلك دون أن يكلمه النبي ﷺ.

وأقبل الرسول ﷺ على ثمامة يعرض عليه الإسلام ويقول له: أسلم يا ثمامة.

فيقول ثمامة: إيها - حسبك - يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وأن ترد الفداء فسل ما شئت، وإن تنعم تنعم على شاكر.

وتركه الرسول ﷺ يومين على حاله، يؤتى له بالطعام والشراب ولبن الناقة، ثم جاءه ﷺ فقال له:

- ما عندك يا ثمامة؟

قال: ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل:-

إن تنعم تنعم على شاكر.. وإن تقتل تقتل ذا دم.. وإن كنت تريد الفداء والمال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه الرسول ﷺ حتى اليوم التالي..

وسأله: ما عندك يا ثمامة؟

قال: عندي ما قلت لك.. إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء.

فنظر الرسول ﷺ إلى أصحابه وقال لهم: أطلقوا ثمامة.

وبالفعل فكوا وثاقه وأطلقوه.

وخرج ثمامة من أسره حتى أتى البقيع خارج المسجد، فتطهر فأحسن الطهور، ثم عاد إلى الرسول ﷺ وقال له:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم قال لرسول الله ﷺ:

- يا محمد، والله ما كان على ظهر الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، ووالله ما كان دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، ووالله ما كان بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ.

ثم قال: لقد كنت أصبت في أصحابك دمًا.

فما الذي توصيه عليّ؟

قال الرسول ﷺ: لا تثريب عليك يا ثمامة.. فإن الإسلام يجب ما قبله.

فقال يا رسول الله: إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى أن أفعل؟

فقال ﷺ: امض لأداء عمرتك ولكن على شرعة الله ورسوله.

وعلمه مناسك العمرة.

وانطلق ثمامة صوب مكة لأداء العمرة التي جاء من أجلها وكانت عمرة الخير له، فقد جاء لأداء العمرة وهو على الكفر ولم يؤدها، والآن هو ذاهب لأداءها وهو مسلم.. لقد كان أسره في مسجد رسول الله ﷺ فاتحة الخير له، فكان يسمع القرآن ويشاهد الصلاة حتى شرح الله صدره وقلبه للإسلام.

وحين بلغ بطن مكة وقف يلبي بصوت عال: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وسمعت قريش صوت التلبية، فذهبت صوبه وأخذوه وأرادوا قتله، ولكن العقلاء من قريش قالوا إنه سيد قومه دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم فخلوا سبيله، وكان ثمامة أول من دخل مكة ملبيًا في الإسلام.

وقالوا له أهل مكة: أصبوت يا ثمامة؟

قال: لا، ولكني اتبعت خير الدين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ.

ثمامة يضرب حصارًا اقتصاديًا على قريش

وبعد أداء العمرة، يعود ثمامة إلى اليمامة، وقد حلف لقريش أنه لن يبع لهم القمح والطعام الذي يحتاجونه، وأمر قومه بذلك فأطاعوه حتى اشتكت قريش إلى رسول الله ﷺ فأرسلوا إليه وقالوا: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع.

فكتب الرسول ﷺ إلى ثمامة كي يفك الحصار الذي ضربه على قريش، ففعل.

تصديه لدعوة مسيلمة الكذاب

ظل ثمامة على العهد حافظًا وافيًا حتى لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، وخرج العرب من دين الله أفواجًا وحاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان من المرتدين قوم ثمامة بنو حنيفة،، فقد ظهر فيهم مسيلمة الكذاب يدعو إلى النبوة فتصدى له ثمامة ودعا قومه إلى التمسك بدين الله الحق فقال:

– يا بني حنيفة، إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه.. إنه والله لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به.

يا بني حنيفة، إنه لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وإن محمدًا رسول الله لا نبي بعده، ولا نبي يُشرك معه وقرأ قوله تعالى:

﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

فأين هذا من قول مسيلمة ((يا ضفدع نقّي ما تنقين، لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين!!)).

وانحاز إليه بعض قومه، فقاتل بهم المرتدين وانضم إلى جيوش الإسلام التي حاربت الردة.

وعاش رضي الله عنه عابدًا لله على دين الإسلام حتى لقى ربه راضيًا مرضيًا، فرضي الله عنه وأرضاه.

(١٣) أم حكيم بنت الحارث بن هشام رضي الله عنها

صحابية جليلة من أسرة عريقة ذات شرف وسيادة في قريش في الجاهلية، اشتهرت تلك الأسرة بعداوتها للإسلام، فالأب هو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، والعم هو أبو جهل عمرو بن هشام أشهر وألدّ أعداء الإسلام عليه لعنه الله، فرعون هذه الأمة.

الزوج هو عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، أسلمت الأسرة عام الفتح.. الزوجة والزوج والأب والأم.

أمها: فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية أخت خالد بن الوليد رضي الله عنه أسلمت يوم الفتح وحسن إسلامها.

أما الزوج فهو عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وقد تكلمنا عنه، كان من ألدّ أعداء الإسلام مع أبيه، وأنعم الله عليه بالإيمان يوم فتح مكة بعد أن أهدر الرسول ﷺ دمه فهرب إلى الساحل كي يركب البحر إلى اليمن فارًا بنفسه.

ثم جاءه العفو من النبي ﷺ، وقدم عليه فقال له ﷺ: مرحبًا بالراكب المهاجر.

ما قبل الإسلام

شاركت أم حكيم أمها وأبوها وزوجها وعمها وخالها حرب المسلمين، فمنهم من قتل على الكفر كأبي جهل عمرو بن هشام يوم بدر الكبرى، ومنهم من أسلم قبل الفتح مثل خالد بن الوليد، ومنهم من ظل على عداوته وحربهم للإسلام حتى يوم فتح مكة مثل عكرمة بن أبي جهل الذي تصدى لجيش الفتح ثم فرّ منه وقد أهدر الرسول ﷺ دمه وأمر بقتله مع تسعة من أكابر المشركين

ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ثم عفا عنه وأسلم، ومنهم من أسلم يوم الفتح مثل الحارث بن هشام وزوجته فاطمة وابنته أم حكيم وحسن إسلامهم وجاهدوا في سبيل الله.

يوم الفتح الأعظم

إنه يوم عظيم في الإسلام يوم دخل الرسول ﷺ ومعه عشرة آلاف من المقاتلين المسلمين أم القرى مكة المكرمة، كي يحطم الأصنام التي كانت حولها، وكي تعلو كلمة التوحيد في أرجاء البيت العتيق، ويعلو صوت بلال رضي الله عنه من فوق الكعبة المشرفة، الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر، كان يومًا مشهودًا لا ينسى.. أصبح أهل الشرك والكفر.. وقد دخل عليهم الرسول الكريم ﷺ وهو يقول لهم:

- ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟

لقد آذوه وحاربوه وحاولوا قتله أكثر من مرة، وحاصروه وحاربوا دعوته، وقد جاء اليوم الذي يدخل مكة أم القرى، وقد خرج منها ذات يوم متخفيًا.. وخرجوا وراءه يريدون قتله.. فماذا يظنون أنه فاعل بهم؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

فأصدر عفوه عنهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.. اذهبوا.. فقد عفا عنكم النبي الكريم ﷺ..

لكن هناك تسعة أو أكثر لم يعف عنهم الرسول ﷺ.. لأنهم تجاوزوا الحدود في حربهم ووصل الأمر بهم أنهم سبوا وآذوا الرسول ﷺ في عرضه ونفسه، ورفضوا الانصياع للحق، ومنهم عكرمة زوج أم حكيم.

وجاءت أم حكيم مع غيرها من نسوة قريش يبايعن الرسول ﷺ يوم الفتح معها أمها فاطمة بنت الوليد وهند بنت عتبة، وفاختة بنت الوليد رضي الله عنهن أجمعين، بايعن وأسلمت وحسن إسلامهن.

وأرادت أم حكيم الخير لزوجها عكرمة، فأتت الرسول ﷺ فأستأمنته لزوجها فأمنه.

وخرجت وراءه وقد فرَّ إلى الساحل كي يركب البحر إلى اليمن.

وتلحق أم حكيم بزوجها قبل أن يسافر إلى المنفى باليمن فقالت له:

- يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك، إني قد أستأمنت لك رسول الله ﷺ.

قال لها: أنت فعلت؟

قالت: نعم أنا كلمته فأمنك.

وعاد عكرمة معها إلى مكة، والرسول ﷺ يخبر أصحابه فيقول لهم: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا، فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحيَّ ولا يبلغ الميت.

وحين أراد عكرمة أن يعاشر زوجته فتأبى عليه ذلك وتقول أنت كافر وأنا مسلمة!!

ودخل عكرمة على رسول الله ﷺ فلما رآه قال له: مرحبًا بالراكب المهاجر.

فقال عكرمة: يا محمد إن هذه أخبرتني إنك أمنتني؟

قال ﷺ: صدقت فأنت آمن.

فقال عكرمة على الفور: أشهدأن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال له النبي ﷺ:

- لا تسألني اليوم شيئًا أعطيته إلا أعطيتكه.

قال عكرمة في خجل وحياء:

– وإني أسألك أن تستغفر لي عن كل عداوة عاديتكها.

فقال له ﷺ:

– اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها أو مركب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك.

ورد عليه امرأته بالنكاح الأول.

فقال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصد عن سبيل الله، إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله(1).

جهادها في سبيل الله

شاركت أم حكيم زوجها عكرمة جهاده في سبيل الله، فقد خرجت معه في معركة اليرموك بالشام، وكان يومًا مشهودًا قاتل فيها المسلمون الروم، وشاركت نساء قريش القتال وكانت أم حكيم إحدى بطلات هذا اليوم، ونال عكرمة الشهادة في سبيل الله في هذه المعركة بعد أن أبلى فيه بلاءً حسنًا وأظهر بطولة نادرة رضي الله عنه.

وتزوجت أم حكيم بعد عكرمًا من الصحابي خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وكان أحد قواد جيوش الشام في حربهم ضد الروم، وقائد معركة مرج الصفر سنة ١٤ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يوم عرسه عليها ليلة المعركة فقالت له أم حكيم:-

– لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع.

فقال لها: إن نفسي تحدثني أن أصاب في جموعهم.

قالت: فدونك.

(1) وهناك أسباب أخرى، في إسلام عكرمة ذكرناها في سيرته في هذا الكتاب.

فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر فسميت قنطرة أم حكيم.

وفي الصباح كانت المعركة، ووقع القتال بين المسلمين والروم، وحمي الوطيس حتى أن أم حكيم حاربت يومها بعمود الفسطاط التي أعرس بها خالد فيه، وقتلت من الروم يومها سبعة..

ولكن الزوج خالد بن سعيد قد نال الشهادة في هذه المعركة.. وترملت أم حكيم للمرة الثانية.

وبعد عودتها للمدينة، واعتدت تقدم إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجها وعاشت معه وأنجبت له ابنته فاطمة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتوفيت رضي الله عنها في حياة زوجها عمر بن الخطاب عام ١٤ هـ رضي الله عنها وأرضاها.

❀❀❀

(١٤) الحارث بن هشام(١) رضي الله عنه

(١٥) فاطمة بنت الوليد رضي الله عنهما(٢)

الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، أبو عبد الرحمن.. أخوه هو عدو الإسلام الأول وفرعون هذه الأمة.. عمرو بن هشام الذي سماه الرسول ﷺ «أبو جهل» من الشخصيات الشهيرة في التاريخ الإسلامي والتاريخ العربي والتاريخ الإنساني.. سجل لنفسه بأحرف من نار في سجلات التاريخ وأورد نفسه وقومه موارد التهلكة كما فعل فرعون موسى بقومه، وقتل أبو جهل عليه لعنة الله يوم بدر الكبرى شر قتلة.

وأخوه العاص بن هشام بن المغيرة كان من أشد أعداء الإسلام وقتل مع أبي جهل يوم بدر الكبرى.

وحارب الحارث بن هشام الإسلام والمسلمين بمكة كما فعل أخوه أبو جهل وغيرهما من صناديد الشرك، وخرج مع قريش يوم بدر وقتل أخواه أبو جهل والعاص، ونجا هو بنفسه يومها.

ثم خرج مع قريش يوم أحد وكانت معه زوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وقد خرجت نساء أخريات أيضًا مع أزواجهن كي تشجعهن على القتال.

---

(١) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم كما ذكره ابن هشام في السيرة.

(٢) فاطمة بنت الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي القرشية أبوها الوليد بن المغيرة من سادات قريش في الجاهلية، وكان من أغنيائها فكان يملك ألف ألف دينار – أي مليون دينار – وكان أحد المستهزئين بالرسول ﷺ ومات على الكفر بمكة بعد الهجرة بأشهر قليلة.

إسلامه يوم الفتح

وظل الحارث على عداوته للإسلام حتى كان يوم فتح مكة، وفزع أهل مكة من أن ينتقم منهم الرسول ﷺ، ولكنه عفا عنهم إلا قليل أهدر دمهم يومها، وهرب الحارث بن هشام مع رجل من عشيرته إلى أم هانئ بنت أبي طالب كي تستأمن لهما رسول الله ﷺ بعد أن طلب حمايتها لهما، وتروي كتب السيرة تلك القصة عن أم هانئ تقول:

لما كان عام الفتح فرَّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتهما، قالت:

فدخل عليَّ علي بن أبي طالب، فقال: اقتلهما.

فدافعت عنهما ومنعت أخيها عليّ من الدخول عليها وقتلهما، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فلما رآها رحب بها وقال: مرحبًا بأم هانئ.

قالت: يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما(١)!.

فقال ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ.

وهكذا نجا الحارث بن هشام من القتل يوم الفتح الأعظم ورغم ذلك فقد دخل الحارث المسجد الحرام والرسول ﷺ داخل الكعبة، وجلس هو مع أبي سفيان وعتاب بن أسيد بفناء الكعبة، فقال عتاب: :-

– لقد أكرم الله أسيدًا أن لا يكون سمع هذا، فسمع منه ما يغيظه.

وقال الحارث بن هشام:

– أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته.

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية بتصرف واختصار، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان خيرًا شريفًا، كبير القدر وهو الذي أجارته أم هانئ فقال لها النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت».

فقال أبو سفيان:

– لا أقول شيئًا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى. وكان أبو سفيان قد حدثته نفسه بقتال الرسول ﷺ وهو بالكعبة، فأخبره الرسول ﷺ بما حدثته نفسه كما ذكرنا في سيرة أبي سفيان.

المهم أن الرسول ﷺ خرج عليهم وهو في مجلسه بعد حديثهم السابق فقال لهم:

– قد علمت الذي قلتم.

ثم ذكر لهم ما قالوا آنفًا.

فقال عتاب والحارث له: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

وقال رجل من قريش للحارث بن هشام حين أمر الرسول ﷺ بلالاً بأن يؤذن فوق الكعبة يوم الفتح:-

– ألا ترى إلى هذا العبد أين يصعد؟

فقال الحارث له: دعه فإن يكن الله يكره فسيغيره(١).

جهاده في سبيل الله

منذ أن عفا عنه الرسول ﷺ، وأسلم وحسن إسلامه، جاهد في سبيل الله بنفسه وماله كما فعل حين كان يحارب الله ورسوله من قبل فشارك في الغزوات والفتوحات الإسلامية.

وبعد وفاة الرسول ﷺ ظل الحارث على عهده وإسلامه بل هاجر بأهله إلى الشام مجاهدًا في سبيل الله حتى أن أهل مكة جزعوا وحزنوا حين فارقهم إلى

(١) ابن كثير في البداية والنهاية، ولقد أعطى الرسول ﷺ الحارث من غنائم حنين مائة من الإبل ممن أعطى من المؤلفة قلوبهم.

الشام وخرجوا يشيعونه فوقف الحارث وحوله أهل مكة يبكون فقال:

– والله ما خرجت رغبة بنفسي عنكم، ولا اختيار بلدٍ على بلدكم، ولكن هذا الأمر كان، فخرجت فيه رجال من قريش ما كانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتها، وأصبحنا والله لو أن جبال مكة ذهبًا، فأنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يومًا من أيامهم، فنلتمس أن نشاركهم في الآخرة، فاتقى الله امرؤ وتوجه إلى الشام غازيًا وشارك في غزوة تبوك وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

استشهاده في سبيل الله

اشترك الحارث مع ابن أخيه عكرمة بن أبي جهل وابن عكرمة في قتال الروم يوم اليرموك، وتبايعوا على القتال حتى الموت وأبلوا الثلاثة في القتال بلاءً حسنًا وقاتلوا قتالاً أذهل العدو حتى استشهد عكرمة وابنه والحارث عمه يومها عام ١٣هـ.

وقيل إنه استشهد يوم معركة أجنادين عام ١٣ هـ مع عكرمة وقيل استشهد في طاعون عمواس بالشام مع أبي عبيدة بن الجراح ﵁ في نفس العام أيضًا(١).

رضي الله عنه وأرضاه.

فاطمة بنت الوليد... زوجة الحارث بن هشام هي ابنة الوليد بن المغيرة أشد أعداء الإسلام ورسول الإسلام ﷺ في مكة، مات على الشرك بعد الهجرة بأشهر قليلة وأخوها أسد الله ورسوله خالد بن الوليد، أسلم بعد عمرة القضاء وهاجر واشترك في فتح مكة وكل الغزوات مع الرسول ﷺ وأيضًا في الفتوحات الإسلامية قائدًا وجنديًا ﵁.

وأخوها الوليد بن الوليد بن المغيرة أسلم قديمًا وهاجر وجاهد في سبيل الله.

(١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق ذلك، وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن وفاته في طاعون عمواس عام ١٣ أيضًا والمشهور أنه في معركة اليرموك مع عكرمة. والله أعلم.

وفاطمة بنت الوليد ظلت على شركها عشرون عامًا تناصر زوجها في عداءه للإسلام، وحاربت معه يوم أحد، حين خرجت قريش بحدها وجدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة لحرب رسول الله ﷺ وأصحابه، فخرج أبو سفيان يومها ومعه زوجته هند بنت عتبة، وخرج الحارث بن هشام ومعه زوجته فاطمة بنت الوليد، وخرج عكرمة بن أبي جهل ومعه زوجته أم حكيم بنت الحارث ابنة عمه وابنة فاطمة بنت الوليد، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ومعه زوجته برزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وغيرهم من رجال قريش ونساءهم.

وظلت فاطمة على شركها وحربها للإسلام حتى كان يوم الفتح الأعظم.

إسلامها

أسلمت فاطمة بنت الوليد يوم فتح مكة مع زوجها الحارث وبايعت الرسول ﷺ مع غيرها من نساء مكة ومعها ابنتها أم حكيم.

وروت عن النبي ﷺ وروى عنها ابن أبنها أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث.

وحسن إسلامها، وكانت ذات رأي وعقل ومشورة.

وكما خرجت تحارب الله ورسوله في أحد، خرجت مع زوجها الحارث ابن هشام للجهاد في سبيل الله إلى الشام حيث قتل زوجها شهيدًا هناك.

وظلت رضي الله عنها على إسلامها وعبادتها بعد وفاة زوجها حتى ماتت.

وذكر أصحاب السير أن خالد بن الوليد جاءها حين عزله عمر بن الخطاب ﷺ يستشيرها فقالت له:

– والله لا يحبك عمر أبدًا وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك.

فقبل خالد رأسها وقال: صدقت والله.

فتم على أمره وأبى أن يكذب نفسه.

وظلت على عهدها منذ أن أسلمت وبايعت في عبادة حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها.

❁❁❁

(١٦) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

(١٧) وابنه جعفر رضي الله عنهما

(١٨) عبد الله بن أبي أمية

هو ابن عم الرسول ﷺ، أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هشام.

وكان أخًا للرسول ﷺ من الرضاعة أرضعتهما حليمة السعدية[1] أخوه نوفل ابن الحارث، وربيعة بن الحارث.

كنيته أبو سفيان واسمه المغيرة.

تأخر إسلامه حتى عام الفتح حيث تلقى النبي ﷺ وهو في طريقه لمكة فاتحًا لها.

أظهر عداوته للدعوة المحمدية منذ بدايتها، وآذى الرسول ﷺ إيذاء شديدًا بمكة.

إسلام أبي سفيان بن الحارث

وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة

بعد عشرون عامًا مضت على الشرك ومعاداة الله ورسوله، دب الإيمان في قلبه وشرح الله صدره للإسلام كان ذلك في العام الثامن من الهجرة، وخرج أبو سفيان ومعه أبناءه وصحبه صديقه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة الذي شرح الله صدره للإسلام وأراد الهجرة للمدينة مع أبي سفيان.

(١) الإصابة لابن حجر وسير أعلام النبلاء للذهبي.

وفي الطريق إلى المدينة لقى أبو سفيان وعبد الله جيش المسلمين الذي خرج من المدينة بقيادة الرسول ﷺ لفتح مكة، وكان ذلك في منطقة تسمى نيق العقاب فيما بين مكة والمدينة المنورة، وكان العباس بن عبد المطلب قد سبقهما إلى الرسول ﷺ في الطريق، وأسلم وانضم إلى ركب المسلمين.

والتمس أبو سفيان بن الحارث وصديقه عبد الله بن أبي أمية الدخول على رسول الله ﷺ، وكلمته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فقالت:

- يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك.

قال ﷺ: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي.

- يقصد أبو سفيان - فهتك عرضى، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال.

وأعرض عنهما الرسول ﷺ ورفض أن يقابلهما.

وانتهى الخبر برفض المقابلة إلى أبي سفيان بن الحارث فقال أبو سفيان:

- والله ليأذنن لي أو لأخذنَّ بيد بُنيَّ[1] هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا.

وسمع النبي الكريم ﷺ مقالته فرق له قلبه الشريف ثم أذن لهما بالدخول عليه، فاعتذر له أبو سفيان وعبد الله عما بدر منهما بمكة له، وأسلما وبايعا له..

قال أبو سفيان بن الحارث لرسوله الله ﷺ معتذرًا له:

لعمري أني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
وهادٍ هداني غير نفسي ونالني ... مع الله من طردت كل مطرَّد

وحين قال: ونالني مع الله من طردت كل مطرد.. ضرب الرسول ﷺ في

(١) كان معه ابنه جعفر.

صدره. وقال له:

- أنت طردتني كل مطرد.

وانضم أبو سفيان وصديقه ابن أبي أمية إلى ركب الرسول ﷺ والمسلمين لدخول مكة المكرمة وكانت تلك أول جهاده في سبيل الله.. فتح مكة.

جهاده في سبيل الله

منذ أن أسلم أبو سفيان وهو يجاهد في سبيل دعوة الله الحق مع رسوله ﷺ ، فكان أول مشواره الإيماني فتح مكة، ثم غزوة حنين بعد فتح مكة مباشرة حين خرجت هوازن وثقيف من الطائف لقتال الرسول ﷺ بعد أن علمت أنه قد فتح مكة، فالتقى جيش المسلمين بهم في حنين.. وحين دارت المعركة انهزم المسلمون وذلك أنهم اغتروا بكثرة عددهم، فكانت تلك أول معركة يفوق عددهم على جيش الشرك، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:-

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً...﴾ الآية.

وثبت مع رسول الله ﷺ مائة صحابي منهم أبو سفيان بن الحارث الذي أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ ، وظل يقاتل قتال الأبطال مع المائة الصابرة حتى جاء نصر الله المؤزر، ونادى الرسول ﷺ في جموع المسلمين التي فرت أن تقبل إليه، فعادوا وقد تحقق النصر، وتعلموا الدرس الإلهي لهم بأن النصر لا يأتي لكثرة العدد والعدة وإنما النصر من عند الله.

قال ابن إسحاق: عن عاصم بن عمر، عمن حدثه قال: تراجع الناس يوم حنين، ثم أن النبي ﷺ أحب أبا سفيان هذا، وشهد له بالجنة، وقال: أرجو أن يكون خلفًا من حمزة[1].

(١) طبقات ابن سعد وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء وعن سعيد بن المسيب قال: أن أبا سفيان بن الحارث كان يصلي في الصيف نصف النهار حتى تكره الصلاة، ثم -

وفاته

ظل أبو سفيان بن الحارث ملازمًا لرسول الله ﷺ مجاهدًا معه في سبيل الله حتى توفي النبي ﷺ وهو راضٍ عنه، وفي خلافة عمر بن الخطاب حج أبو سفيان فحلقه الحلاق فقطع ثؤلولاً في رأسه، فمرض منه، ومات بعد قدومه المدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٥ هـ، وقيل ٢٠ هـ: وقال أبو سفيان بن الحارث في مرض موته:-

لا تبكوا عليّ، فإني لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت.

ويقال إنه مات بعد أخيه نوفل بن الحارث ﷺ وأرضاه.

وتوفي ابنه جعفر عام ٥١ هـ.

❁❁❁

- يصلي من الظهر إلى العصر.

(١٩) أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه

هو صهر النبي ﷺ، زوج ابنته زينب، وأبو أمامة بنت زينب -رضي الله عنها-، هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي.

اسمه: لقيط وقيل اسم أبيه: ربيعة، وهو ابن أخت السيدة خديجة أم المؤمنين، أمه هالة بنت خويلد(١).

تزوج أبو العاص بن الربيع من ابنة خالته زينب بنت محمد ﷺ بمكة قبل البعثة، وكانت أكبر بنات النبي ﷺ وكان يحبها ويثني عليها رضي الله عنها.

كان أبو العاص أخًا لرسول الله ﷺ مصافيًا له، وكان يقال له: الأمين، وكان ﷺ يكثر من زيارته لأبي العاص في منزل أمه هالة بنت خويلد.

ويوم زواج زينب -رضي الله عنها- أهدت إليها أمه خديجة أم المؤمنين قلادة كانت أثيرة عندها لحبها إياها.

وعاشا الزوجين في سعادة بالغة، وأنجبا أمامة بنت أبي العاص وعلي بن أبي العاص الذي مات صبيًا، وقد أردفه الرسول ﷺ وراءه يوم فتح مكة(٢).

وقد تزوجت أمامة بنت أبي العاص من الإمام علي بن أبي طالب بعد وفاة زوجته فاطمة بنت محمد ﷺ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعاشت بعد وفاته ثم تزوجت من المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وتوفيت

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ومن أراد المزيد من سيرة السيدة زينب بنت محمد ﷺ وسيرة ابنتها أمامة بنت أبي العاص فليقرأ كتابنا «نساء أهل البيت» الناشر مكتبة التوفيقية بالأزهر.

عنده وولدت له ابنه يحيى بن المغيرة.

وحين بعث رسول الله ﷺ أسلمت ابنته زينب -رضي الله عنها- مع بقية أهل البيت النبوي، ولكن الزوج أبا العاص ظل على دين قومه، رغم دعوة الرسول ﷺ له إلى الإسلام، وكذلك دعوة زوجته له أيضًا إلا أنه لم يستجب لهما، وحاول أهل الكفر من قريش أن يجعلوا أبا العاص يطلق زوجته فقالوا له:

- فارق صاحبتك بنت محمد، ونحن نزوجك أي امرأة شئت من قريش، ولكن رفض عرضهم، فهو لا يطيق فراق زوجته، وابنة خالته فقال لهم:

- لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش.

وظلت الزوجة الوفية تعيش في كنف زوجها وهي على أمل أن يؤمن ويشرق نور الإسلام في وجنات قلبه الصادق، وكان الإسلام لم يفرق وقتها بين المشرك وزوجته المسلمة، فقد كان هذا التفريق كما سيأتي بعد غزوة بدر الكبرى.

أبو العاص أسيرًا يوم بدر

هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، ثم أرسل من يأتي إليه بابنته فاطمة وأم كلثوم وزوجته سودة بنت زمعة من مكة إلى المدينة، وتجمعت الأسرة النبوية في المدينة، وظلت زينب مع زوجها أبي العاص بمكة، هي على دين أبيها ﷺ وهو على دين قومه، ولما كانت السنة الثانية من الهجرة، ووقعت معركة الفرقان ببدر بين المسلمين والمشركين من قريش، وكان أبو العاص في جيش المشركين من قومه يقاتل معهم المسلمين، وانتهت المعركة بنصر الله للإسلام وأهله ورسوله، وهزيمة المشركين، وأسر أبو العاص بن الربيع، أسره رهط من الأنصار، وعادوا به إلى المدينة حتى يقضي رسول الله ﷺ في أمر الأسرى.

وعاش أبو العاص في كرم أهل المدينة من الأنصار، يعاملونه معاملة طيبة شأنه شأن الأسرى، فكانوا يؤثرونه بالطعام رغم قلته لديهم، حتى إن الرجل لتقع في يده الكسرة من الخبز فيدفعها إليه.

وأحس أبو العاص بعظمة هذا الدين الذي خرج من مكة محاربًا له، فقد حمل هذا الدين هؤلاء الرجال عظماء، وظل أبو العاص فترة أسره بالمدينة يفكر في هذا الدين الجديد، وينتظر ماذا سيفعل الرسول ﷺ مع الأسرى..

وحين قبل الرسول ﷺ الفداء في الأسرى جاءت أموال الفداء للأسرى من قريش، وكان في فداء أبي العاص القلادة التي أهدتها أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- لابنتها زينب يوم عرسها قد أرسلتها الزوجة الوفية زينب -رضي الله عنها- لفداء زوجها، وعرف الرسول ﷺ القلادة، ورق لها وقال للأنصار:

- إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها قلادتها؟

قالوا: نعم.

وأطلقوا سراحه، وأخذ عليه النبي ﷺ العهد أن يخلي سبيل ابنته زينب -رضي الله عنها- حين عودته لمكة لأنها لا تحل له وهو على دين قومه.

لقد كان تأثر الرسول ﷺ شديدًا حين رأي القلادة التي أرسلت بها ابنته زينب -رضي الله عنها- مع أخي زوجها عمرو بن الربيع، وذكر زوجته أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-، فطلب من الأنصار أصحاب الحق في فداء الأسير بتلطف شديد أن يطلقوا سراح الأسير ويردوا القلادة والمال الذي أرسل في فداءه إن شاءوا.. إنه تلطف نبوي كريم، قابله كرم الأنصار المعهود منهم دومًا.

وفاء أبي العاص بالعهد

خرج أبو العاص مع أخيه عائدًا إلى مكة بعد أن أطلق سراحه من الأسر، ولكنه حزن لأنه سوف يفارق زوجته الحبيبة إلى قلبه، إنه وعد الرسول ﷺ أن يرسل إليه زينب -رضي الله عنها-، لأنها أصبحت لا تحل له ما دام على دين قومه من الشرك والكفر، إنه وعده.. ولسوف يوفي بالوعد.

وحين وصل أبو العاص إلى داره بمكة، وفرحت زوجته بعودته سالمًا، لم تدم الفرحة طويلاً، فقد أخبرها بما قاله أبيها ﷺ له بأن يردها إليه:-

- لقد وعدت أباك أن تلحقى به وقد استكتمني ذلك، وسأفي بما وعدته، فقد كان كريمًا معي.

وذكر لها قصة القلادة التي أرسلتها وأعطاه إياها.

وتجهزت الزوجة للهجرة إلى أبيها ﷺ، وعلمت هند بنت عتبة أن زينب بنت محمد سوف تهاجر إلى أبيها فذهبت إليها وقالت لها:

- يا ابنة محمد، بلغني إنك تودين الرحيل، واللحوق بأبيك؟ فهل هذا صحيح؟

فأجابت زينب -رضي الله عنها- بالنفي.

فقالت لها هند: أي ابنة العم، لا تفعلي ذلك، ولا تكذبيني، فإن كانت لك حاجة في متاع أو ما يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تستحي مني، فإن ما بين الرجال لا يتعداهم إلى النساء، وإن أولى الناس بإسعادك ابنة عمك.

وأحست زينب -رضي الله عنها- بصدق هند بنت عتبة في نصحها وعرضها المساعدة عليها فقالت: فوالله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، ولكني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.

وكان رسول الله ﷺ أرسل مولاه زيد بن حارثة ورجل من الأنصار كي يأتوا بابنته، وقال لهما: كونا ببطن يأجج[1] حتى تمر بكما زينب فتصحبانها. وكان ذلك بعد غزوة بدر بشهر.

وتجهزت زينب -رضي الله عنها-، وخرجت على بعيرها يقدمها أخو زوجها واسمه كنانة، وقد أخذ قوسه وكنانته نهارًا، وخرج القوم من قريش وراءه، حتى أدركوهما «بذي طوى» وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود ابن المطلب ونافع بن عبد عمرو، فردها هبار بن الأسود بالرمح وهى في هودجها، ففزعت لذلك، وكانت حاملاً، فنزفت وسقط الحمل، مما جعل كنانة

(١) على بعد ثمانية أميال من مكة.

ابن الربيع أخو زوجها يبرك الناقة، وينثر كنانته بين يديه ويضع فيها سهمًا وراح يهدد القوم أن يضربهم بما لديه من الأسهم وقال لهم:

– والله لا يدنو أحد إلا وضعت فيه سهمًا فرجع القوم عن الهودج وخافوه، وجاء أبو سفيان مسرعًا ومعه رجالاً من قريش فقال لكنانة بن الربيع:-

– أيها الرجل كف عنى بنلك حتى نكلمك.

فكف كنانة، ووقف، وأقبل إليه أبو سفيان وقال له:

– أيها الرجل، إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد أبيها بالأمس القريب - يريد غزوة بدر- فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية أن ذلك على ذل أصابنا، ولعمري مالنا في حبسها عن أبيها من حاجة، وما فيها من ثار نثاره، ولكن ارجع اليوم، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أنا رددناها، فإذا كان الليل، سلها سرًا، وأخرجها خفية، وألحقها بأبيها(١).

وبالفعل أنفذ كنانة بن الربيع ما وصاه به أبو سفيان بن حرب، وخرج بها بعد ليال، فسلمها إلى زيد وصاحبه، فقدما بها إلى المدينة المنورة سالمة، وحين علم النبي ﷺ بما حدث لابنته أمر بقتل الرجلين الذين أخافاها وتسببا في إسقاط الجنين الذي كان في بطنها -رضي الله عنها-(٢).

إسلام أبي العاص

ظلت الزوجة الوفية بالدينة صابرة محتسبة ست سنوات، وظل زوجها بمكة على دين قومه، وخرج تاجرًا للشام بأموال قريش قبل فتح مكة بقليل، وحين عودته إلى مكة من رحلته للشام وقد ربح الكثير لقيته سرية لرسول ﷺ مكونة

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه في باب الجهاد أمر النبي ﷺ لسرية من المسلمين بقتل هبار بن الأسود ونافع بن عبد عمرو ولكن السرية لم تصب هبار بن الأسود الذي أسلم وهاجر.

من سبعين ومائة فارس يقودهم الصحابي زيد بن حارثة ﷺ، واستولت السرية على القافلة واستطاع أبو العاص بن الربيع أن يهرب منهم.

ولم يهرب أبو العاص إلى مكة ولكنه قدم المدينة في الليل، وذهب إلى زوجته زينب -رض الله عنها- فاستجار بها فأجارته وطلب منها أن تطلب من أبيها رد الأموال التي كانت معه وأخذها المسلمون منه.

وعند أداء صلاة الفجر بالمسجد النبوي والرسول ﷺ يكبر وقد اصطف المسلمون وراءه، إذا صوت يقطع السكون من صفوف النساء يدوي في المسجد:-

– أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع وكان ذلك الصوت هو صوت السيدة زينب -رضي الله عنها-.

فلما قضيت الصلاة وسلم النبي ﷺ قال لأصحابه: ما علمت بهذا، وإنه يجير على الناس أدناهم.

ثم انصرف متوجهًا إلى ابنته زينب -رضي الله عنها-، فدخل عليها وقال لها:

– قد أجرنا من أجرت، والمؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم، أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له.

وسألت زينب -رضي الله عنها- أباها ﷺ أن يرد لأبي العاص ما أخذ منه، فلم يرد عليها.

وبعث الرسول ﷺ إلى السرية من أصحابه الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم:

– إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوه، فإنا نحب ذلك، وأن أبيتم، فهو فيء الله، فأنتم أحق به(١).

فقالوا كلهم: بل نرده عليه يا رسول الله.

وردوا عليه ما أصابوا منه حتى إن الرجل كان يأتي بالقربة القديمة والحبل

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

وغير ذلك من المتاع البسيط وردوه إليه طواعيًا وحبًا لرسول الله ﷺ الذي قال لهم: فإنا نحب ذلك.

ورأى أبو العاص ما فعله معه الرسول ﷺ والمسلمون، فدخل الإسلام قلبه، ولكنه أراد أن يعلن إسلامه هناك بين قومه بعد أن يرد لهم الأمانات التي معه.

وبالفعل ما إن وصل أبو العاص مكة وأعطى كل ذي حق حقه نادى في قريش:-

- يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم معي مالٌ لم أرده عليه:

قالوا جميعًا: لا.. جزاك الله خيرًا، قد وجدناك وفيًا كريمًا.

وعند ذلك أعلن أبو العاص إسلامه أمامهم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما والله يا معشر قريش ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا خشية أن تظنوا بي أنما أسلمت لأذهب بأموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت، أسلمت[1].

ثم قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة فرد عليه زينب -رضي الله عنها- على النكاح الأول.

وهكذا اجتمع شمل الأسرة مرة أخرى بعد فراق دام ست سنوات.

وفاة زينب -رضي الله عنها

لم يمض على عودته إلى زوجته عامًا أو أكثر حتى توفيت زينب -رضي الله عنها- متأثرة بما حدث لها في هجرتها من مكة.. وكان ذلك عام ثمانية من الهجرة، وحزن الزوج لوفاة زوجته ولكنه أمر الله.

وعاش أبو العاص في المدينة المنورة أربعة أعوام بعد موت زوجته زينب -

(1) تاريخ الطبري وتاريخ الإسلام للذهبي وسير أعلام النبلاء والسيرة النبوية لابن هشام وغير ذلك من كتب السيرة والتاريخ.

رضي الله عنها- ومعه ابنته أمامة وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- عام ١٢ هـ وقد نال رضى رسول الله ﷺ وثناءه عليه حيث قال عنه:

«حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي»[1].

رضي الله عنه وأرضاه.

❀❀❀

(1) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢٠) حكيم بن حزام بن خويلد
(٢١) ابنه هشام بن حكيم
رضي الله عنهما

هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بـن قصـي بـن كـلاب القرشي الأسدي.

ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكانت ولادته في جوف الكعبة.

عمته السيدة خديجة أم المؤمنين، والزبير بن العوام ابن عمه.

ظل عشرون عامًا يساير قومه في عداوتهم وحربهم للإسلام حتى بلغ الستين من عمره يوم فتح مكة وأسلم وحسن إسلامه، فكان كثير العطـاء والصدقة في الله والعتق ومساندة المحتاجين، وليس هذا بمستغرب عنه فقد كان من أشـراف قريش وعقلائها ونبلائها[1].. رضي الله عنه.

مواقفه يوم بدر الكبرى

خرج حكيم بن حزام مع قومه لحرب المسلمين يوم بدر الكبرى، ولما نزل المسلمون أعلى البئر واستولوا عليه وبنوا عليه الحوض، أقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض، فقال الرسول ﷺ لأصحابه:-

- دعوهم.

فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا حكيم بـن حـزام فإنه شـرب مـن الحوض ولم يقتل، وبعد إسلامه بعد ذلك كان إذا اجتهد في يمينه قال:

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

- لا والله والذي نجاني يوم بدر.

ولما استقرت قريش يومها في بدر واسـتعدت للمعركـة أرسلت عمير بـن وهب الجمحي فقالوا له:

- أحرز لنا القوم أصحاب محمد.

فخرج عمير بن وهب في نفر معه كي يسـتطلع الأمـر وجـال بفرسـه حـول معسكر المسلمين، ثم رجع إلى قريش فقال لهم: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر.. أللقوم كمين أو مدد.

فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئًا.. فرجع إليهم فقال:-

- ما رأيت شيئًا، ولكن رأيت يا معشر قريش البلايا تحمـل المنايـا نواضـح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجـأ إلا سـيوفهم، واللـه مـا أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا أعدادهن فمـا خـير العيش بعد ذلك فروا أمركم؟

حكيم بن حزام يسعى للصلح بين الفريقين يوم بدر

فلما سمع حكيم بن حزام مقالة عمير بن وهب الجمحي[1] مشى في النـاس من قريش فأتى عتبة بن ربيعة فقال له:

- يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطـاع فيهـا، هـل لـك إلـى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟

قال عتبة بن ربيعة:

- وما ذاك يا حكيم؟

قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي.

قال عتبة: قد فعلت، أنت علـى بذلـك، إنمـا هـو حليفي فعليّ عقلـه ومـا

(١) لمزيد من التفصيل انظر سيرة عمير بن وهب في هذا الكتاب.

أصيب من ماله. فأت ابن الحنظلية.

- يقصد أبا جهل- فإني لا أخشى أن يحد أمر الناس غيره.

ثم قال عتبة خطيبًا في الملأ من قريش:-

- يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكسره النظر إليه- قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك، ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

وذهب حكيم بن حزام إلى أبي جهل وكان يجهز أدوات الحرب فقال له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا.

فغضب أبو جهل وقال:

انتفخ والله سحره حين رأى محمدًا وأصحابه، فوالله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمد وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه(1).

وذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي فقال له:

- هذا حليفك يريد أن يرجع الناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك(2).

فقام عامر بن الحضرمي فصرخ في الناس:

---

(1) كان ابن عتبة بن ربيعة الصحابي أبو حذيفة بن عتبة يقاتل في صفوف المسلمين فقد أسلم قديمًا بمكة وهاجر.

(2) قيل أخو عامر بن الحضرمي وهو عمرو بن الحضرمي قتله سرية عبد الله بن جحش قبل غزوة بدر وكان أول قتيل من المشركين، وبسببه استنفر أبو جهل الناس للخروج إلى بدر وأخذ الثأر وخرج معه قوم عمرو بن الحضرمي وهم حلفاء عتبة بن ربيعة.

- واعمراه.. واعمراه

فحميت الحرب، وأفسد بذلك أبو جهل الرأي الذي دعا إليه حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة. وقال عتبة بن ربيعة لما علم بقول أبي جهل فيه:

- سيعلم مصفر أسته من انتفخ سحره أنا أم هو.

وقامت الحرب، وانتصر المسلمون وقتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وغيرهما من صناديد الشرك، ونجا حكيم بن حزام يومها من القتال فسار يحلف إذا أراد الحلف بالله الذي نجاه في ذلك اليوم.

رؤيته للملائكة يوم بدر

لقد أيد الله سبحانه وتعالى نبيه بالملائكة قال تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ..﴾(1).

وقد رأى المؤمنون الملائكة في صور شتى، وكذلك الكفار أيضًا، فقد رآهم سهيل بن عمرو فقال في وصفهم: رأيت رجالاً بيض على خيل بلق بين السماء والأرض يقتلون ويأسرون..)).

وكذلك حكيم بن حزام قال:

لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد من السماء قد سد الأفق فإذا الوادي يسيل نهلاً فوقع في نفسي أن هذا الشيء من السماء، أُيد به محمد، فما كانت إلا الهزيمة ولقيّ الملائكة.

وقال جبير بن مطعم وهو في جيش المشركين من قريش:-

رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود قد نزل من

---

(1) سورة الأنفال: ١٢.

السماء مثل النمل الأسود فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم[١].

إسلامه يوم الفتح

خرج حكيم بن حزام مع أبي سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء كي يستطلعوا أمر جيش المسلمين الذي جاء لفتح مكة، وأسلم حكيم بن حزام وأبو سفيان وبديل بن ورقاء يومها وقال ﷺ: من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، وفي رواية زاد: ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن[٢].

وأسلم حكيم وحسن إسلامه.

ويروى أحمد ومسلم والبخاري أن حكيم بن حزام حين أسلم قال: أعتقت في الجاهلية أربعين محررًا، فقال رسول الله ﷺ: أسلمت على ما سلف لك من خير))[٣].

وفي رواية زاد.. فقلت: يا رسول الله لا أدع شيئًا صنعته في الجاهلية إلا صنعت لله في الإسلام مثله.

وكان قد أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وأعتق في الإسلام مثلها، وساق في الجاهلية مائة بدنة وفي الإسلام مثلها[٤].

من فضائله :

قال أبو حازم: ما بلغنا أنه كان بالمدينة أكثر حملاً في سبيل الله من حكيم.

---

(١) السيرة لابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير.

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ورجال إسناده ثقات ولكن ضعيف مرسل وله شاهد عند مسلم في صحيحه من قوله: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) الحديث.

(٣) رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب: حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، والبخاري في العتق باب: عتق المشرك.

(٤) الذهبي في سير أعلام النبلاء.

وقيل إن حكيمًا باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف.

فقال ابن الزبير: بعت مكرمة قريش.

قال له: ذهبت المكارم يا ابن أخي إلا التقوى، إني اشتريت بها دارًا في الجنة، أشهدكم أني قد جعلتها لله[١].

ولما توفي الزبير بن العوام، لقي حكيم ابنه فقال:

كم ترك أخي من الدين؟

قال: ألف ألف أي مليون.

فقال حكيم: عليَّ خمسمائة ألف[٢].

وقال عن نفسه: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة، إلا علمت أنها من المصائب التي سأل الله الأجر عليها[٣].

عطاء رسول الله ﷺ لحكيم

أعطى رسول الله ﷺ لحكيم بن حزام مثل ما أعطى المؤلفة قلوبهم من مسلمي الفتح.

وتروي كتب السنة والسيرة أن حكيمًا يوم حنين أعطاه الرسول ﷺ من الغنائم فاستقله فزاده، فقال يا رسول الله: أي أعطيتك خير؟

قال ﷺ: الأولى. ثم قال له: يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس وحُسن أكلة، بورك له فيه، ومن أخذه باستشراف نفس وسوء أكلة لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وذكره الهيثمي في المجمع بمعناه، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء.

(٢) ابن عساكر في تاريخ دمشق.

(٣) المصدر السابق.

قال حكيم: ومنك يا رسول الله؟

قال: ومني.

قال حكيم: فوالذي بعثك بالحق لا أرزأ أحد بعدك شيئًا - أي لا يأخذ عطية من أحد - وظل حكيم على عهده لا يقبل عطاءً من أحد بعد رسول الله ﷺ الذي أعطاه إياه، فكان عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يعطيه من العطايا فلا يقبله منه فقال عمر:-

- اللهم إني أشهدك على حكيم أني أدعوه لحقه وهو يأبى[1].

ومات حكيم وهو أكثر أهل قريش مالاً.

وقالوا إنه لم يدخل دار الندوة للرأى أحد حتى يبلغ الأربعين، إلا حكيم بن حزام، فإنه دخل للرأي وهو ابن خمسة عشرة سنة.

وحكيم أحد النفر الذين دفنوا عثمان بن عفان ﷺ بالمدينة ليلاً.

حب حكيم لرسول الله ﷺ قبل إسلامه وبعده

تروى كتب السيرة عن حكيم بن حزام قوله:

- كان محمد ﷺ أحب الناس إليَّ في الجاهلية، فلما نُبِّئ وهاجر، شهدت المعركة كافرًا واشترى حلة ((ذي يزن)) بخمسين دينار وذهب إلى المدينة ليهديها لرسول الله ﷺ هدية فقال له:

- إنا لا نقبل من المشركين شيئًا ولكن إن شئت بالثمن.

قال حكيم: فأعطيته حين أبى علّي الهدية.

ثم رآه يلبسها على المنبر فكانت أحسن شيء رآه حكيم يومها، ثم أعطاها

(١) البخاري بتصرف يسير رقم (١٤٧٢)، والجدير بالذكر أن حكيم هو الذي اشترى زيد ابن حارثة ﷺ من سوق عكاظ بستمائة درهم لعمته خديجة -رضي الله عنها-، ولما تزوجت الرسول ﷺ وهبته له فأعتقه.

الرسول ﷺ إلى أسامة بن زيد بن حارثة فلقيه حكيم فقال له:

- يا أسامة! أتلبس حلة ((ذي يزن))؟

قال أسامة: نعم والله لأنا خير منه،

ولأبي خير من أبيه[1].

ومن فضائل حكيم أنه حين أحصر الرسول ﷺ بمكة في شعب أبي طالب ثلاث سنوات كان حكيم تأتيه العيد بالحنطة فيقبلها الشّعب، ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها[2].

وبلغ عدد ما روى من أحاديث أربعين حديثًا.

منها أربعة في الصحيحين متفق عليها.

وفاته

عاش حكيم بن حزام من العمر مائة وعشرون عامًا، ستون عامًا في الجاهلية ومثلهم في الإسلام.

وروى أنه قال حين أدركته الوفاة كان يقول:

- لا إله إلا الله، قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك.

مات سنة ٥٤ هـ ﷺ وأرضاه.

❁❁❁

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر باختصار وتصرف.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي.

وابنه هشام كان مهيبًا صليبًا الرأي شجاعًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أسلم مع أبيه عام الفتح.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا رأى منكرًا قال: أما ما عشت أنا وهشام بن حكيم فلا يكون هذا[1].

قال ابن سعد: توفي في خلافة معاوية.

❁❁❁

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٢٢) جبير بن مطعم بن عدي رضي الله عنه

جبير بن مطعم هو ابن أحد سادات قريش في الجاهلية المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي.

وأبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة التي قاطعت فيها قريش بني هاشم ثلاث سنوات كي يسلموا لهم رسول الله ﷺ، وكان الرسول الكريم ﷺ يقدر له هذا الموقف بعد أن مات على شركه فقال ﷺ يوم بدر: لو كان المطعم بن عدي حيًا وكلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له[1].

وكان المطعم بن عدي يصل أهل الشِّعب في حصارهم بشعب أبي طالب في السرِّ، وكان أيضًا للمطعم بن العدي موقفًا مع رسول الله ﷺ حين عاد من الطائف وقد آذوه وأغروا به السفهاء وأدميت قدماه ﷺ، ولم يستطع دخول مكة إلا بجوار أحد من ساداتها ولم يقبل أحد أن يجير الرسول ﷺ سوى المطعم بن عدي الذي جمع أولاده ولبسوا ملابس الحرب. وخرج على الملأ من قريش يعلن فيهم أنه قد أجار الرسول ﷺ، كل تلك المواقف النبيلة إلا أنه ظل على شركه ومع قومه على عبادة الأوثان حتى مات بعد الهجرة النبوية بيسير.

وتروى كتب السيرة والتاريخ[2] هذا الموقف للمطعم بن عدي فتذكر أن رسول الله ﷺ بعث إلى أريقط بن الأخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة فقال له: إنه حليف لا يجير على صميمها، ثم بعث إلى سهيل بن عمرو ليجيره

(١) رواه البخاري، (٣١٣٩) باب ما منَّ النبي ﷺ من غير أن يخمس. والنتنى إشارة إلى من قتل من المشركين يوم بدر، وساق ابن كثير في البداية والنهاية الحديث بلفظ «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم سألني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له».

(٢) السيرة لابن هشام والبداية والنهاية وغيرهما.

فقال: إن بني عامر بن لؤى لا تجير على بني كعب بن لؤى، فبعث إلى المطعم ابن عدي ليجيره فقال: نعم. وكان الذي يرسله الرسول ﷺ لهؤلاء هو مولاه زيد بن حارثة ﷺ وقال المطعم: قل له فليأت..

فدخل الرسول ﷺ مكة وتوجه إلى المطعم فبات عنده.

فلما أصبح المطعم بن عدي خرج ومعه بنوه وكانوا ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعًا فدخلوا المسجد الحرام وقال المطعم لرسول الله ﷺ :-

- طف.

واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، وأقبل أبو سفيان بن حرب فقال للمطعم:

- أمجير أو تابع؟

فقال له المطعم: لا بل مجير.

قال أبو سفيان: إذًا لا تخفر.

وجلس المطعم حتى انتهى الرسول ﷺ من طوافه ثم انصرف وانصرفوا معه.

وبعد تلك الواقعة بقليل هاجر الرسول ﷺ، ثم توفى المطعم بن عدي بعد الهجرة بيسير وهو على دين قومه.

جبير بن مطعم في غزوة بدر

شارك جبير بن مطعم عداء قومه للإسلام والمسلمين، واشترك مع قريش في معركة بدر الكبرى، وقال جبير بن مطعم فيما أورده عنه ابن كثير في تاريخه:

- رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم.

وقد قدم جبير بن مطعم بعد ذلك في فداء الأسرى من قومه، وكان مثل أبيه

موصوفًا بالحلم والرأي السديد، ويحكي الجبير بن مطعم عن واقعة قدومه المدينة لفداء الأسرى فيقول:-

- فوافقت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب ((والطور وكتاب مسطور))[1] فأخذني من قراءته كالكرب)).

إسلام جبير بن مطعم

كان جبير بن مطعم رغم أنه لم يسلم قديمًا بمكة إلا أنه في الفترة التي كان تابع قومه على دينهم لم يشارك في أذى الرسول ﷺ فكان يقول:

- كنت أكره أذى قريش لرسول الله ﷺ، فلما ظننا إنهم سيقتلونه لحقت بدير من الديارات - للنصارى- فذهب أهل الدير إلى رأسهم فأخبروه، فاجتمعت به، فقصصت عليه أمري، فقال:

تخاف أن يقتلوه؟

قلت: نعم.

قال: وتعرف شبهه لو رأيته مصورًا؟

قلت: نعم.

قال: فأراه صورة مغطاة كأنها هو - أي شبه الرسول ﷺ.

وقال رئيس الدير: والله لا يقتلوه، ولنقتلن من يريد قتله، وإنه لنبي.

فمكثت عندهم حينًا، وعدت إلى مكة، وقد ذهب رسول الله ﷺ إلى المدينة، فتنكر لي أهل مكة، وقالوا: هلم أموال الصبية التي عندك أستودعها أباك.

فقلت: ما كنت لأفعل حتى تفرقوا بين رأسي وجسدي، ولكن دعوني

(1) رواه الطبراني في الكبير رقم ١٤٩٨ وإسناده حسن ورواه البخاري في الأذان باب الجهر في صلاة المغرب.

أذهب فأدفعها إليهم.

فقالوا: إن عليك عهد الله وميثاقه أن لا تأكل من طعامه، فقدمت المدينة وقد بلغ رسول الله الخبر، فدخلت عليه، فقال لي فيما يقول: إني لأراك جائعًا هلموا طعامًا».

قلت: لا آكل خبزك، فإن رأيت أن آكل أكلت، وحدثته. قال: أوف بعهدك[١].

وفي يوم الفتح الأعظم أسلم جبير مطعم مع من أسلم وعفا عنهم الرسول ﷺ من أهل مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وأعطاه الرسول ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين.

من فضائل جبير بن مطعم

ذكرت كتب السيرة أن جبير بن مطعم كان من علماء قريش وسادتهم وكان يؤخذ عنه النسب، ولما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسيف النعمان ابن المنذر . دعا جبير بن مطعم وسلحه إياه.

وعمل جبير بن مطعم لعمر بن الخطاب في خلافته وقد ولاه الكوفة قبل المغيرة بن شعبة.

وذكروا أن المطعم بن عدي تزوج امرأة وسمى لها صداقها ثم طلقها قبل الدخول بها ثم أعطاها صداقها كاملاً وتلا الآية:

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

(١) رواه الطبراني في الكبير من رواية المقدم بن داود عن أبي الأسود النضر بن عبد الجبار، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٧.

وقال: أنا أحق بالعفو منها.

وفاته

وعاش جبير بن مطعم رضي الله عنه بعد إسلامه مجاهدًا في سبيل الله وقد حسن إسلامه، وتوفى عام ٥٩ هـ وقيل ٥٨ هـ رضي الله عنه وأرضاه[١].

❁❁❁

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي وذكر في مقدمة سيرته أنه شيخ قريش في زمانه ويقال: أبو عدي القرشي النوفلي ابن عم رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ مشهورًا بمعاملته القاسية للنساء، فكان يضربهن.

عاش ﷺ حتى وفد على معاوية بن أبي سفيان في خلافته، فأحفه على سرير ملكه وأعطاه مائة ألف فاستقلها.

رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

(٢٢) أبو جهم بن حذيفة القرشي

قال عنه الذهبي: أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي المذكور في قول النبي ﷺ:

«اذهبوا بهذه الخميصة وائتوني بأنبجانية أبي جهم»[١].

ظل أبو جهم على دين قومه وشاركهم في عداءهم للإسلام طيلة عشرين عامًا، حتى منَّ الله عليه بالإسلام يوم فتح مكة.

وقيل إن اسمه: عبيد.. ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة.

حسن إسلامه وشارك في الجهاد مع المسلمين.

ومن صفاته أنه كان قوي النفس، حضر بناء الكعبة في الجاهلية، وشارك فيها وحفر أيضًا بناء المسجد الحرام في عهد عبد الله بن الزبير وبين العمارتين أزيد من ثمانين عامًا.

وكان ﷺ علاّمة بالنسب، وبعثه الرسول ﷺ عاملاً للزكاة.

وحين أراد الزواج من الصحابية فاطمة بنت قيس، فذهبت كي تستشير النبي ﷺ فقال لها:

- **«أما أبو جهم فإنه ضرّاب للنساء، وأما معاوية فصعلوك»**[٢].

وأشار عليها بالزواج من أسامة بن زيد.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند والبخاري في الصلاة ومسلم في المساجد باب كراهة الصلاة في الثوب له أعلام. والخميصة ثوب له أعلام أهدى للرسول ﷺ وكره الصلاة فيه ثم طلب ثوبًا آخر من عند أبي جهم.

(٢) رواه مسلم في الطلاق وكذلك أبو داود وغيرهما.

(٢٤) أبو محذورة الجمحي رضي الله عنه

اسمه أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة بن سعد بن جمح، وقيل أن اسمه سمير بن عمير بن لوذان بن وهب بن سعد بن جمح بن عمرو[1] روى له البخاري في الأدب المفرد، وكذلك روى له مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده، وجاء تسميته «سمير بن معير» في تهذيب الكمال للمزي.

إسلامه

ظل على متابعة قومه في عبادة الأوثان حتى بعد فتح مكة. ولما رجع الرسول ﷺ من غزوة حنين، جاء أبو محذورة ومعه بعض الشباب من مكة ينظرون إلى المسلمين وهم يصلون وسمعوا الأذان، واستهزأوا به، وكعادة الشباب دومًا قاموا يقلدون الأذان مستهزئين به فسمعهم الرسول ﷺ[2] فأرسل إليهم، وطلب منهم أن يؤذنوا رجلاً رجلاً، وكان أبو محذورة آخرهم فلما سمع الرسول ﷺ الأذان منه قال له: تعال وأجلسه بين يديه ومسح على ناصيته ودعا له بالبركة ثلاث مرات، ثم قال له اذهب فأذن عند البيت الحرام.

فقال له أبو محذورة:-

- كيف يا رسول الله؟

فعلمه الأذان، وعلمه الإقامة- ثم صار مؤذنًا للبيت الحرام وظلت تلك الوظيفة له ولذريته من بعد.

وهكذا كان إسلام أبو محذورة ناتجًا عن سماحة رسول الله ﷺ وعفوه،

---

(١) الذهبي سير أعلام النبلاء.

(٢) جاء في الحديث الذي ذكر القصة والذي سوف نذكره في الهامش أن الرسول ﷺ قال: لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت.

بعد أن كان أبو محذورة ومن معه من الشباب يستهزئون بنداء الحق.. الأذان.. وساقته الأقدار إلى أشرف وظيفة يتطلع إليها أي مسلم أن يكون من أطول الناس أعناقًا يوم القيامة كما بشر الرسول ﷺ المؤذنين[1].

وعلّم أبو محذورة كذلك غيره الأذان بعد ذلك وكان منهم عبد الرحمن بن محيريز الذي كان يتيمًا في حجره.

وبعد أن أعطى الرسول ﷺ الأذن إلى أبي محذورة ظل مؤذنًا للبيت الحرام وتروى كتب السيرة أنه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم مكة فنزل دار الندوة وسمع أذان أبي محذورة، فقال له عمر حين جاء يسلم عليه: ما أندى صوتك! أما تخشى أن ينشق مُر بطاؤك مناشدة صوتك؟

قال أبو محذوره له: يا أمير المؤمنين قدمت فأحببت أن أسمعك صوتي.

قال عمر له: يا أبا محذورة إنك بأرض شديدة الحر، فأبرد عن الصلاة، ثم أبرد عنها، ثم أذن ثم أقم، تجدني عندك[2].

وذكروا أن أبا محذورة كانت له قُصة في مقدم رأسه فإذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض.. أي أن شعر مقدمة رأسه كانت طويلة.

---

(١) ذكر القصة الذهبي في سير أعلام النبلاء والحديث رواه أحمد في مسنده بباب كيفية الأذان، والترمذي في الصلاة والنسائي، وابن ماجه وغيرهم ونص الحديث كما أورده الذهبي:

عن أبي محذورة قال: لما رجع النبي ﷺ من حنين خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم، فسمعتهم يؤذنون للصلاة، فقمنا نؤذن نستهزئ، فقال النبي ﷺ: لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت. فأرسل إلينا، فأذنّا رجلاً رجلاً فكنت آخرهم فقال حين أذنت: تعال. فأجلسني بين يديه فمسح على ناصيتي، وبارك عليّ ثلاث مرات ثم قال: اذهب فأذن عند البيت الحرام. قلت: كيف يا رسول الله؟ فعلمني الأولى كما يؤذنون بها، وفي الصبح: الصلاة خير من النوم.. وعلمني الإقامة مرتين مرتين.

(٢) تهذيب التهذيب وذكره الذهبي أيضًا.

وقالوا إن في عهد معاوية بن أبي سفيان جاء المؤذن الخاص به ليؤذن في البيت الحرام فقام إليه أبو محذورة فأصله وألقاه في بئر زمزم[(١)].

وفاته

ظل أبو محذورة كما قلنا يؤذن في البيت الحرام حتى توفى عام ٥٩ هـ وظل الأذان في دار بيته إلى الآن. رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

(١) المصدر السابق.

(٢٥) وحشي الحبشي رضي الله عنه

من الشخصيات الشهيرة في التاريخ الإسلامي الأول، فقد ارتبط اسمه بمقتل أسد الله الحمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، إنه العبد الحبشي وحشي أبو دسمة.

لم يذكر لنا كُتاب السير والتاريخ نسبه إلا أنه كان عبدًا لجبير بن مطعم بمكة ونسب إلى اسم جهة ميلاده وهى بلاد الحبشة أو لأن لونه أسود فسمى بذلك[(١)].

وكان وحشي مشهورًا بقذف الحربة وهى أحد أسلحة مقاتلي الحبشة، ودعاه سيده جبير بن مطعم للخروج معه يوم أحد وذلك لأداء مهمة وحيدة وهى قتل الحمزة بن عبد المطلب ﷺ، وذلك أن عم جبير بن مطعم وهو طعيمة ابن عدي قد قتل يوم بدر الكبرى.

وعرض جبير بن مطعم على وحشي عرضا سخيًا فقال له:-

- اخرج مع الناس، فإن إنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق.

وخرجت قريش بجدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها لقتال المسلمين بأحد قرب المدينة، لعلهم يأخذون ثأرهم منهم بيوم بدر، وكان ذلك في العام الثالث الهجري أى بعد مرور عام من واقعة بدر.

وخرجت مع الجيش القرشي نساء بعض أكابر القوم كي تحفزهم على القتال، ومنهن هند بنت عتبة التي كانت تحرض وتشجع وحشي على المهمة التي خرج من أجلها، فكلما مرت هند بوحشي تقول له:

(١) قيل إن اسمه وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب ذكره ابن كثير.

- ويهًا أبا دسمة اشف واشتف.

ووعده بجائزة مالية له إن حقق ما خرج من أجله.

سبحان الله.. إن مقتل الحمزة بالنسبة لوحشي يساوي العتق من العبودية وأيضًا المال الذي يحقق له ما يريد.. فكان عليه أن يجتهد كي يصيب الهدف.

وحين دارت المعركة بين الفريقين بأحد، قاتل المسلمون حتى لاحت بوادر النصر، وقاتل حمزة قتال الأبطال، فقتل أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف، وكان أحد حملة اللواء لقريش ثم قتل عثمان بن أبي طلحة، ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى أبي نيار فقال له حمزة:

هلم إليَّ يا ابن مقطعة البظور(١).

فضربه الحمزة، وهنا نظر العبد وحشي ويأس أن ينال من الحمزة بحربته، فقد رآه يهد الناس بسيفه لا يقف أمامه أحد، وفي أثناء قتال الحمزة وسباع قذف العبد وحشي بحربته صوب أسد الله الحمزة فوقفت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه، ونال الشهادة.

وعاد وحشي إلى معسكر المشركين فقد نال ما خرج إليه، وبعد انتهاء المعركة قامت قريش بتمثيل شهداء المسلمين، وكان للحمزة الحظ الوافر فقد أخرجت هند بنت عتبة أمعائه وكبده ولاكته ثم تركته، وأعطت العبد وحشي ما لديها من حلي من ذهب وجواهر.

وعاد وحشي إلى مكة مع الجيش وتحقق له ما أراد من العتق وأقام بمكة حتى جاء يوم الفتح الأكبر ففر منها فزعًا وخوفًا من انتقام الرسول ﷺ منه.

إسلام وحشي

يحكي لنا وحشي قصة إسلامه فيقول:

- هربت إلى الطائف - يوم فتح مكة - فمكثت بها فلما خرج وفد

(١) كانت أمه وهي أم أنمار تعمل ختانة بمكة.

الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليَّ المذاهب فقلت: الحق بالشام أو اليمن أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله لا يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق.

فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بي قائمًا على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال لي:-

- أوحشي أنت؟

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟

فحدثه وحشي بالذي جرى يوم أحد، فلما فرغ من حديثه قال له ﷺ:

- ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك.

وعفا عنه الرسول ﷺ ولكنه أمر ألا يراه أمامه، وظل وحشي على ذلك حتى توفي الرسول ﷺ(١).

وحشي يقتل مسيلمة الكذاب

أراد وحشي أن يكفر عن قتله للحمزة بن عبد المطلب فخرج يوم اليمامة مع جيش المسلمين لعله يقتل مدعي النبوة مسيلمة الكذاب، وحين اقتحم المسلمين الحصن الذي تحصن به مسيلمة الكذاب وهي الحديقة، وكان مسيلمة الكذاب يقاتل ومن حوله رجاله يتحصن بهم، فرماه وحشي بحربته التي قتل بها الحمزة بين ثديه فخرجت من كتفيه، ثم وثب عليه أبو دجانة الأنصاري فضربه بالسيف على رأسه، فاشترك في قتله مع وحشي.

ويقول ابن هشام: فبلغني أن وحشيًا لم يزل يُحدَّ في الخمر حتى خُلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب ﵁ يقول: -

قد قلت بأن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

وتوفي وحشي بحمص ﵁.

(١) البداية والنهاية لابن كثير بتصرف.

(٢٦) فضالة بن عمير بن الملوح
(٢٧) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة
رضي الله عنهما

فضالة بن عمير:-

فضالة بن عمير من مسلمة الفتح الذين عفا عنهم الرسول ﷺ يوم فتح مكة وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولكن فضالة رغم العفو والصفح الجميل من النبي الكريم ﷺ أضمر في نفسه شرًا، فقد أراد أن يقتل الرسول ﷺ وهو يطوف بالكعبة يوم الفتح، حدثته نفسه بذلك ولم يخبر أحدًا بهذا القرار الخطير.

فخرج يطوف بالكعبة حتى أصبح قريبًا من رسول الله ﷺ، وحين اقترب من هدفه إذ بالرسول ﷺ يقول له:

- أفضالة؟

فقال: نعم فضالة يا رسول الله؟

قال ﷺ:

- ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال فضالة: لا شيء، كنت أذكر الله.

فضحك النبي ﷺ ثم قال له:

- استغفر الله.

ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه.

وهكذا نجا فضالة من الهلاك، فالرسول ﷺ معصوم من الناس بالله رب العالمين، وأدرك فضالة أن الذي أمامه ليس بشرًا عاديًا وإنما هو رسولٌ من الله، وأن الذي أخبره بما حدثته به نفسه هو الله خالق النفس سبحانه وتعالى.

ويقول فضالة بعد تلك الواقعة:-

- والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه.

وعاد فضالة إلى أهله، فمر بامرأة كان يخلو بها ويتحدث إليها ودعته إلى ذلك فقال لها:

لا.. ثم أنشد يقول:

قالت هلمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام
أو ما رأيت محمدًا وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيننا ... والشرك يغشى وجهه الظلام

وهكذا كتب لفضالة النجاة من النار وحسن إسلامه ومات على ذلك رضي الله عنه.

شيبة بن عثمان بن أبي طلحة

هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ابن عم الصحابي عثمان بن أبي طلحة، وخاله الصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنهم.

كان مشاركًا لابن عمه عثمان حجابة البيت[1]، ظل شيبة على شركه وعداوته للإسلام، فقد قتل أبوه يوم أحد كافرًا على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ظل شيبة كافرًا عشرون عامًا حارب فيها الإسلام، حتى جاء يوم فتح مكة، ولم يسلم ولكن الرسول ﷺ أمهله، وخرج مع جيش المسلمين في غزوة حنين

(١) دفع النبي ﷺ مفتاح الكعبة لشيبة بن عثمان وقال: خذوها يابني أبي طلحة خالدة تالدة. ذكره الحافظ في التهذيب وقال ضعيف، وفي مسلم أنه أعطى المفتاح لعثمان ابن عمه.

(٢٨) الوليد بن عقبة بن أبي معيط
(٢٩) وأخيه عمارة بن عقبة
رضي الله عنهما

أبوهما هو عدو الله عقبة بن أبي معيط، آذى النبي ﷺ بمكة كثيرًا، حتى إنه يومًا وضع رجله على رأس النبي ﷺ وهو ساجدٌ يصلي بالبيت الحرام، ووضع على ظهره مرة أخرى سلا الجزور وهو يصلي أيضًا.

فقد روت كتب السيرة والحديث أن أشد شيء صنعه الكفار برسول الله ﷺ هو ما فعله عقبة بن أبي معيط عليه اللعنة، ذات يوم بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر ﵁ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)).

وبعد انتهاء معركة بدر الكبرى بنصر الله للمسلمين، وفي طريق عودة الجيش بقيادة الرسول ﷺ وهو عرف الظبية قرب المدينة أمر بقتل عقبة بني أبي معيط صبرًا وذلك أن يكتف من يده إلى عنقه ثم يضرب بالسيف، ولما أقبل الصحابي عاصم بن ثابت لتنفيذ حكم النبي ﷺ في عقبة صرخ عقبه قائلا لمن حوله:-

– يا معشر قريش، لم أقتل من بين مَنْ هاهنا؟

قال له رسول الله ﷺ: على عدواتك لله ورسوله.

فقال عقبة له: فمن للصبية يا محمد؟

قال ﷺ: النار!!

ثم عقب الرسول ﷺ على قرار القتل بقوله:

– أتدرون ما صنع بي هذا؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة – أحشاء الشاة المذبوحة– فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي.

ولهذه الأسباب مجتمعة قتل عقبة صبرًا وقد قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، وقيل علي بن أبي طالب ﵁.

وقيل قتل عقبة بن أبي معيط، وقتل أيضا النضر بن الحارث حين كان الجيش أيضًا بطريق العودة بمنطقة الصفراء وتلك كانت نهاية عدو الله عقبة والنضر من بين أسرى بدر فهما من الذين لم يعف عنهم الرسول ﷺ.

وظل ابنا عقبة بن أبي معيط على شركهما وعداوتهما للإسلام حتى كان يوم فتح مكة، ففتح الله قلبهما للإسلام وشرح صدرهما للإيمان فأسلما، وحسن إسلامهما.

جهادهما في سبيل الله

جاهد الوليد بن عقبة في سبيل الله فخرج مجاهدًا في الشام، وولي الكوفة لعثمان بن عفان ﵁.

وكان عثمان بن عفان ﵁ أخوه لأمه، ولكنه ﵁ كان يشرب الخمر، ورغم ذلك كان شجاعًا قائمًا بأمر الجهاد.

وذكرت كتب السيرة أنه صلى الفجر أربعًا وهو سكران ثم التفت وقال: أزيدكم، وكان ذلك في عهد عثمان بن عفان ﵁ فأرسل إليه وأقام عليه الحد[1].

وقد بعثه الرسول ﷺ على صدقات بني المصطلق، وبعثه عمر على صدقات بني تغلب.

(1) الخبر في صحيح مسلم، باب حدّ الخمر.

وكان الوليد سخيًا ممدحًا شاعرًا وتوفي في عيـن الرومية قـرب الرَّقة ولم يذكر صاحب تاريخ دمشق تاريخ وفاته[1] حيث اعتزل الناس بعد مقتل أخيه عثمان بن عفان ؓ.

وتوفي في الشام حيث كانت ضيعته وقيل إنه اعتزل بالجزيرة ولم يحارب مع أحد الفريقين.

رضي الله عنه ولم تذكر كتب السيرة تاريخ وفاة أخيه عمارة أيضًا.

❀❀❀

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٣٠) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة ؓ

شارك قريش عداوتها لرسول الله ﷺ قرابة عشرين عامًا، فهو حليف قريش.

قال الذهبي: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي حليف قريش، وهو يعلى بن منية بنت غزوان، أخت عتبة بن غزوان.

أسلم يوم فتح مكة، وحسن إسلامه وخرج مجاهدًا مع رسول الله ﷺ في غزوة الطائف وتبوك.

روت له كتب الحديث الستة، وحدث عنه أبناؤه صفوان وعثمان ومحمد، وأخوه عبد الرحمن وابن أخيه صفوان بن عبد الله، وآخرون.

كان يعلى بن أمية أول من أرخ الكتب وهو واليًا على اليمن أيام خلافة عثمان بن عفان ؓ وله نحو من عشرين حديثًا وله ثلاث أحاديث في البخاري ومثلها في صحيح مسلم.

ولاه عمر بن الخطاب ؓ نجران وكان من أجود الصحابة.

خرج مع عائشة -رضي الله عنها- وطلحة والزبير في الجيش الذي طالب بالثأر من قتلة عثمان بن عفان ؓ، وأنفق في سبيل ذلك أموالاً كثيرة في العسكر فلما انهزم جيش طلحة والزبير في معركة الجمل الشهيرة هرب إلى مكة.

توفي قبل معاوية بن أبي سفيان وقيل بعده والله أعلم[1]. رضي الله عنه وأرضاه.

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢١) حويطب بن عبد العزى القرشي
(٢٢) سعيد بن يربوع القرشي رضي الله عنهما
(٢٣) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث ؓ

حويطب بن عبد العزى

من مسلمة الفتح.. ظل على عداوته للإسلام وشارك في قتال قريش للمسلمين يوم بدر الكبرى، ورأى الملائكة وهي تحارب مع المسلمين فقال: رأيت الملائكة تقتل وتأسر، فقلت: هذا رجل ممنوع[1].

ورغم رؤيته للملائكة يوم بدر وإدراكه أن الرسول ﷺ محفوظ من الله تعالى كما قال هو ذلك لم يؤمن وظل على شركه قرابة العشرين عامًا حتى كان يوم الفتح الأعظم فعفا عنه الرسول ﷺ فيمن عفا عنهم يومها.

وأسلم حويطب وحسن إسلامه بعد ذلك، وأعطاه الرسول الله ﷺ من غنائم يوم حنين مع المؤلفة قلوبهم مائة من الإبل.

وأخرج له البخاري ومسلم حديث في الزكاة من رسول الله ﷺ.

وقد باع من معاوية دارًا له بالمدينة المنورة بأربعين ألفًا.

وهو أحد الذين أمرهم عمر بن الخطاب في خلافته بتجديد أنصاب حدود الحرم المكي، وكان أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان ؓ ليلاً.

سار بأهله إلى الشام وجاهد في سبيل الله ؓ وتوفى عام ٥٤ هـ أو ٥٢هـ ؓ وأرضاه.

(١) الخبر أورده الحاكم في المستدرك، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء.

وسعيد بن يربوع القرشي

وهو شيخ بني مخزوم عاش مائة وعشرين عامًا مثل حكيم بن حزام وحسان ابن ثابت، وأسلم يوم الفتح بعد أن عفا عنه الرسول ﷺ فكان من مسلمة الفتح، وحسن إسلامه.

وكان من المؤلفة قلوبهم أعطاه الرسول ﷺ من غنائم حنين خمسين بعيرًا.

وكان أيضًا مثل حويطب ممن يجدد أنصاب الحرم المكي.

توفي ؓ عام ٥٤ هـ بمكة.

هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب

من مسلمة الفتح من بني عامر بن لؤى تألفه الرسول ﷺ فأعطاه مائة من الإبل من غنائم حنين، حيث شارك فيها بعد إسلامه، وحسن إسلامه ؓ.

(٢٤) مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي رضي الله عنه
(٢٥) هشام بن عمرو بن لؤى رضي الله عنه

هو كبير بني زهرة.. مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو المسور القرشي الزهري.

والده هو نوفل ابن عم السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف الزهرية أم الرسول ﷺ، ظل على شركه حتى يوم فتح مكة فعفا عنه الرسول ﷺ، وكساه بحلة فاخرة باعها بأربعين أوقية.

وابن مخرمة هو المسور بن مخرمة من صغار الصحابة وأشراف قريش وعلمائهم.

عاش مخرمة مائة عام وخمسة عشرة عامًا.

توفي رضي الله عنه عام ٥٤ هـ.

وأعطى الرسول ﷺ مخرمة بن نوفل خمسين من الإبل من غنائم حنين.

– هشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى من مسلمة الفتح والمؤلفة قلوبهم أعطاه الرسول ﷺ خمسين من الإبل من غنائم حنين وحسن إسلامه رضي الله عنه.

❁❁❁

(٢٦) الحكم بن العاص بن أمية رضي الله عنه
(٢٧) وابنه مروان بن الحكم رضي الله عنه

ظل الحكم بن العاص وابنه مروان على عدواتهما للإسلام حتى فتح مكة، وعفا عنهما الرسول ﷺ، فكانا من مسلمة الفتح.

والحكم بن العاص له أدنى نصيب من الصحبة وابنه أيضًا كذلك، لأن الرسول ﷺ نفى الحكم بن العاص إلى الطائف، فظل هناك حتى وفاة الرسول ﷺ، وقيل أن أسباب نفيه إلى الطائف أنه قلد الرسول ﷺ في بعض حركاته، فنزل بوادي ((وج)) بالطائف.

والحكم بن العاص هو عم عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد نقم جماعة على عثمان بن عفان رضي الله عنه حين تولى الخلافة عطفه على عمه الحكم بن العاص وابنه مروان بن الحكم حيث أواهما وأنزلهما المدينة ووصل عمه بمائة ألف.

وذكرت في سب الحكم بن العاص أحاديث لم تثبت صحتها عن رسول الله ﷺ وكان للحكم بن العاص عشرون ابنا وثمانية من البنات.

ومات الحكم بن العاص عام ٣١ هـ.

وعاش ابنه مروان بن الحكم، وكان يكنى أبا القاسم وأبا الحكم، وكان كاتب ابن عمه عثمان بن عفان ومعه خاتمه، وسار مع طلحة والزبير في المطالبة بدم عثمان ونجا يوم الجمل.

وولى المدينة أكثر من مرة في عهد معاوية بن أبي سفيان، ولما هلك ولد معاوية يزيد أقبل مروان وانضم إليه بنو أمية ودعا بالخلافة وأخذ دمشق ومصر، ولكن عبد الله بن الزبير نازعه فيها قبل أن يدعى إليها وصارت الخلافة إلى عبد الله بن الزبير حين مات مروان بن الحكم وولى الأمر من بعده ابنه عبد الملك

ابن مروان الذي انتزع الخلافة من عبد الله بن الزبير.

وقيل أن مروان بن الحكم قتل خنقًا في رمضان عام ٦٥ هـ وقيل إنه مات بالطاعون والله أعلم.

❀❀❀

(٣٨) أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها

إنها بنت عم النبي ﷺ، اسمها فاختة وقيل هند وكنيتها أم هانئ.

أخت الإمام علي بن أبي طالب وجعفر -رضي الله عنهما-.

تأخر إسلامها حتى يوم الفتح فكانت من مسلمة الفتح.

صلى عندها الرسول ﷺ يوم الفتح صلاة الضحى ثمان ركعات[١].

وظل زوجها هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي على شركه وهرب يوم الفتح إلى نجران ومات على كفره.

وقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح تخبره أن رجلان من قريش قد استجارا بها وأن أخيها علي بن أبي طالب يريد قتلهما، فقال لها رسول الله ﷺ بعد أن رحب بها:-

- قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ[٢].

وروت أم هانئ ما يقرب من ستة وأربعين حديثًا.

وعاشت -رضي الله عنها- وحسن إسلامها حتى توفيت سنة ٥٠ هـ كما ذكر ذلك الذهبي في تاريخه سير أعلام النبلاء.

رضي الله عنها وأرضاها.

❀❀❀

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه مالك والبخاري من صلاة الضحى، ومسلم في المسافرين.

(٣٩) عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه

إنه الأمير الثقفي، أمره رسول ﷺ على وفد الطائف حين وفدوا عليه بعد أن حاربوه، فعفا عنهم، ولما رأى الرسول ﷺ أمارات العقل والخير فيه جعله الأمير عليهم رغم صغر سنه وجعله أميرًا على الطائف.

وحسن إسلامه، وظل أميرًا على الطائف في عهد أبي بكر الصديق، ثم استعمله عمر بن الخطاب على عمان والبحرين، وجعله قائدًا للجيش الإسلامي في عصره، وافتتح تَوَّج[1] وسكن البصرة.

وكان رضي الله عنه شديد التقوى قال عنه الحسن البصري:

ما رأيت أحدًا أفضل منه.

توفي عام ٥١ هـ رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

(١) هي مدينة بفارس يقال لها توز أيضًا.

(٤٠) عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه
(٤١) الحارث بن الحارث بن كلدة رضي الله عنه
(٤٢) نصير بن الحارث بن كلدة رضي الله عنه

هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، ذكر نسبه هذا البخاري وابن معين وهشام بن الكلبي وغيرهم.

وعمه مصعب بن عمير رضي الله عنه.

ظل على شركه وعناده حتى يوم الفتح الأكبر حين عفا عنه الرسول ﷺ فأسلم وحسن إسلامه.

قال له ﷺ: يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة[1].

كان اسمه عبد كلال، فغيره الرسول ﷺ إلى عبد الرحمن.

جاهد في سبيل الله فغزا سجستان، وكان أميرًا على الجيش.

وعاش بالبصرة وتوفى فيها عام ٥١ هـ.

الحارث بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار

نصير بن الحارث بن كلدة

أسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم، وخرج يوم غزوة حنين مع جيش المسلمين، وأعطاه الرسول ﷺ مائة من الإبل بتألفه للإسلام، وحسن إسلامه رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري وغيره وهو جزء من حديث رواه أحمد في المسند.

وكذلك نصير بن الحارث بن كلدة أيضًا من مسلمة الفتح أعطاه الرسول ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين وحسن إسلامه.

❀❀❀

(٤٣) علقمة بن علاثة (٤٤) زيد الخير

(٤٥) الأقرع بن حابس (٤٦) عامر بن كريز بن ربيعة

(٤٧) العلاء بن جارية الثقفي (٤٨) عيينة بن حصن ابن حذيفة

عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي ابن عمة رسول الله ﷺ البيضاء بنت عبد المطلب.

ظل على شركه حتى يوم الفتح فأسلم بعد أن عفا عنه الرسول ﷺ مع أهل مكة.

ابنه الصحابي عبد الله بن عامر ولي البصرة لعثمان بن عفان وتزوج ابنة معاوية هند، عاش عامر بن كريز إلى زمن عثمان بن عفان وتوفي في خلافته رضي الله عنه وأرضاه.

- **العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة.**
- **زيد الخير.**
- **عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر.**
- **علقمة بن علاثة.**
- **الأقرع بن حابس التميمي.**

من مسلمة الفتح وشاركوا في غزوة حنين بعد فتح مكة، وكانوا من المؤلفة قلوبهم وأعطاهم الرسول ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل لكل واحد منهم يتألفهم، وحسن إسلامهم رضي الله عنهم، وقد قال رجل لرسول الله ﷺ :

يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعيل بن سراقة الضمري! فقال له: أما والذي نفسي محمد بيده لجُعيل بن سراقة خير طلاع الأرض، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ولكني تألفتهم ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه.

❁❁❁

(٤٩) عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه
(٥٠) عدي بن قيس رضي الله عنه

هو عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي.

أسلم يوم الفتح بعد العفو الشامل من رسول الله ﷺ لأهلها.

حسن إسلامه وكتب للرسول ﷺ الوحي وعمل كاتبًا لأبكر الصديق وعمر بن الخطاب.

قال البخاري: عبد يغوث جده كان خال النبي ﷺ.

وولاه عثمان بن عفان بيت المال فأجازه بثلاثين ألفًا فأبى أن يقبلها.

وقال رافضًا الأجر: إنما عملت لله تعالى وإنما أجري على الله.

وقال له عمر بن الخطاب...

- لو كانت لك سابقة، ما قدمت عليك أحدًا.

وذلك لأنه من مسلمة الفتح ولم يكن من السابقين للإسلام أو المهاجرين.

وقال عنه عمر: ما رأيت أخشى لله من عبد الله بن الأرقم.

رضي الله عنه.

عدي بن قيس

من مسلمة الفتح من بني سهم أعطاه الرسول ﷺ خمسين من الإبل من غنائم حنين يتألفه للإسلام، فحسن إسلامه وشارك في الجهاد في سبيل الله.

يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جعُيل بن سراقة الضمري! فقال له: أما والـذي نفسي محمـد بيده لجُعيل بن سراقة خير طلاع الأرض، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حـابس ولكني تألفتهم ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه.

❁❁❁

(٤٩) عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه
(٥٠) عدي بن قيس رضي الله عنه

هو عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بـن وهـب بـن عبـد منـاف بـن زهـرة القرشي.

أسلم يوم الفتح بعد العفو الشامل من رسول الله ﷺ لأهلها.

حسن إسلامه وكتب للرسول ﷺ الوحي وعمل كاتبًا لأبكر الصديق وعمـر ابن الخطاب.

قال البخاري: عبد يغوث جده كان خال النبي ﷺ.

وولاه عثمان بن عفان بيت المال فأجازه بثلاثين ألفًا فأبى أن يتقبلها.

وقال رافضًا الأجر: إنما عملت لله تعالى وإنما أجري على الله.

وقال له عمر بن الخطاب...

- لو كانت لك سابقة، ما قدمت عليك أحدًا.

وذلك لأنه من مسلمةالفتح ولم يكن من السابقين للإسلام أو المهاجرين.

وقال عنه عمر: ما رأيت أخشى لله من عبد الله بن الأرقم.

رضي الله عنه.

عدي بن قيس

من مسلمة الفتح من بني سهم أعطاه الرسول ﷺ خمسين مـن الإبـل مـن غنائم حنين يتألفه للإسلام، فحسن إسلامه وشارك في الجهاد في سبيل الله.

(٥١) أبو قحافة عثمان بن عامر ﵁

هو والد الصحابي الجليل أول خليفة في الإسلام صاحب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق -رضي الله عنهما[1]-.

تأخر إسلامه حتى يوم الفتح فشمله عفو النبي ﷺ، وجاء به ابنه أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأسلم وبايع.

عاش ﵁ حتى أدرك خلافة ابنه بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وتوفى بعد وفاة ابنه الصديق ﵁ عام ١٤ هـ.

وحين جاء به أبو بكر الصديق لرسول الله ﷺ يوم الفتح ليبايع ويسلم قال النبي ﷺ:

- هلا أقررتم الشيخ في بيته حتى كنا نحن نأتيه.

وذلك تكرمة لأبي بكر الصديق ﵁.

وقال أبو بكر الصديق: بل هو أحق بالسعي إليك يا رسول الله.

وأحلّه الرسول ﷺ بين يديه ورأسه كالثغامة -بيضاء- ودعا له وقال:

غيروا هذا الشيب بشيء وجنبوه السواد.

وقال أبو قحافة حين علم بوفاة رسول الله ﷺ وتولية ابنه بعد:-

- أو أقرت بذلك بنو هاشم وبنو مخزوم.

قالوا له: نعم.

---

(١) كنيته أبو قحافة واسمه عثمان بن عامر بن صخر بن كعب بن سعد بن تيم بن كعب ابن لؤي بن غالب، ذكره ابن كثير في تاريخه وغيره.

قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وتوفى أبو قحافة بعد ابنه أبي بكر الصديق ﵁ بأشهر قليلة من عام ١٤ هـ بمكة وعمره أربع وسبعون سنة ﵁.

❁❁❁

(٥٢) هبار بن الأسود القرشي رضي الله عنه

إنه هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الأسدي.

حارب الإسلام والمسلمين وآذى رسول الله ﷺ، وأهدر الرسول ﷺ دمه حين تعرض لراحلة ابنته زينب -رضي الله عنها- يوم خرجت من مكة بعد غزوة بدر الكبرى عائدة إلى أبيها، فطعن هبار بن الأسود الراحلة فسقطت -رضي الله عنها-

ونزفت وكانت حاملاً فسقط الحمل وظلت مريضة حتى بعد عودتها إلى المدينة وأهدر الرسول ﷺ دمه وأمر بقتله، بل أمر بحرقه ثم عاد فنهى عن الحرق قتلاً لأنه من عذاب الله.

ولكن رحمة الله أدركت هبارًا فعفى عنه الرسول ﷺ وأسلم وحسن إسلامه وجاهد في سبيل الله حتى نال الشهادة يوم معركة أجنادين بالشام عام ١٤هـ رضي الله عنه.

❀❀❀

(٥٣) الشاعر / أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة

وكان أبو عزة هذا شاعرًا، دعاه أبو جهل للخروج معه يوم بدر الكبرى يستعين بلسانه وشعره.

وقاتل أبو عزة في صفوف المشركين وأخزاه الله وأسره المسلمون.

وحين جاء الفداء لأسرى بدر من المشركين وكان أبو عزة فقيرًا ذا بنات قال لرسول الله ﷺ:

- يا رسول الله لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ.

فمنّ عليه الرسول الكريم ﷺ وعفا عنه وأطلق سراحه على شرط ألا يظاهر عليه أحد، فقال أبو عزة يمدح الرسول على ذلك:

من مبلغ عني الرسول محمدًا بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد

ولكن أبو عزة حين خرج المشركون إلى قتال الرسول ﷺ يوم أحد دعاه صفوان بن أمية للخروج ولكنه أبىّ في بداية الأمر وتذكر عهده مع الرسول ﷺ، وألحّ عليه بالخروج وتعهد له برعاية بناته، على أن يخرج معه يؤيدهم ويحارب معهم بسيفه ولسانه.

وأخزاه الله يوم أحد كما أخزاه يوم بدر الكبرى، وأسره المسلمون يومها، وسأل أبو عزة الرسول ﷺ:

أن يمن عليه كما فعل يوم بدر لأنه ذو حاجة وله بنات يحتجن إليه بمكة، ولكن النبي ﷺ رفض أن يعفو عليه هذه المرة وقال له:

- لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدًا مرتين.

وقال أيضًا فيه: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين.

وأمر به أن يضرب عنقه فضربت.

وهكذا نال جزاء عدم الوفاء بعهده مع الرسول ﷺ - فلعنة الله عليه- وقد ذكرناه هنا لأنه ممن عفا عنه الرسول ﷺ ولكنه لم يحافظ على العهد معه.

❀❀❀

(٥٤) مربع بن قيظى المنافق

وكان مربع بن قيظى من منافقى المدينة، وكان أعمى البصر، وتروى كتب السيرة أن الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى غزوة أحد مر في طريقه على بستان مربع بن قيظى وهو من المنافقين، فلما سمع مربع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثى في وجوههم التراب ويقول:

- إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي.

وأخذ حفنة من تراب ثم قال:

- والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك.

فابتدره القوم ليقتلوه، فقال لهم رسول الله ﷺ :-

- لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر.

وكان معد بن زيد قد ابتدره قبل نهي الرسول ﷺ فضربه بقوسه فشج رأسه ومضى رسول الله ﷺ في طريقه.

وذكرنا هذه القصة من عفو الرسول ﷺ مع هذا المنافق الذي ظل على نفاقه ولم يستفد من عفو الرسول الكريم ﷺ وظل على كفره ونفاقه.

❀❀❀

(٥٥) غورث بن الحارث

قصة هذا الرجل غورث بن الحارث ثابتة في كتب السيرة وذكرها البخاري وغيره من أصحاب السنن.

تقول القصة أن الرسول ﷺ في إحدى غزواته ((ذات الرقاع)) انتهى إلى شجرة ذات ظل قليل فنام تحتها وعلق سيفه، وكان رجلاً من غطفان ومحارب قد خرج يريد أن يقتل الرسول ﷺ، فوجده نائمًا تحت الشجرة وقد علق سيفه، فاستله الرجل وقام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، وقال:

- من يمنعك مني؟

فقال له الرسول ﷺ بقوة وحزم وثقة:

- الله.

فسقط السيف من يد الرجل فأخذه رسول الله ﷺ وقال له:

- من يمنعك مني؟

قال الرجل وهو يرتعد:

- كن خير آخذ.

قال له رسول الله ﷺ:

- تشهد أن لا إله إلا الله؟

قال: لا- ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فعفا عنه وخلى سبيله على الشرط.

فأتى الرجل أصحابه وقال لهم:

- جئتكم من عند خير الناس.

وحافظ على العهد ولم يقاتل النبي ﷺ ولم يظاهر على قتاله ولم نعلم أنه أسلم.

(٥٦) أبو لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه

إنه صحابي من الأوس، أسلم حين دخل الإسلام المدينة.

وكان أبو لبابة ﷺ أخا بني عمرو بن عوف من قبيلة الأوس وكانت يهود بني قريظة حلفاءهم.

ولما غدر يهود بني قريظة بعهد رسول الله ﷺ في غزوة الخندق وظاهروا على قتاله ونقضوا عهده، وأمر الله رسوله ﷺ بمحاربتهم وإجلاءهم عن المدينة بعد أن هزم الله الأحزاب.. ذهب الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين إلى غزو بني قريظة وحاصروهم، وحين اشتد الأمر بهن طالبوا من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم حليفهم أبا لبابة بن المنذر كي يستشيروه في أمرهم، فأرسله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش النساء في البكاء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟

قال أبو لبابة:- نعم

وأشار بيده إلى حلقه.. أي أن حكم الرسول ﷺ هو الذبح لهم.

وأدرك أبو لبابه خطأه، وشعر أنه خان الله ورسوله، فقال يحكي عن تلك الحادثة التي ألمت به: فوالله ما زالت قدماي في مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله.

وانطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ، بل ذهب إلى المسجد وارتبط في إحدى أعمدة المسجد، وربط نفسه فيه وقال:

- لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت - وعاهد الله ألا يطأ بني قريظة أبدًا.

وظل أبو لبابة مرتبطًا ست ليال في المسجد.

- تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط.. حتى نزل فيه قوله تعالى:

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

ونزلت تلك الآية بالتوبة على أبي لبابة في آخر الليل ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها، فاستأذنته أن تبشر أبا لبابة بالتوبة والعفو عليه، فأذن لها، فخرجت تبشره، وجاء إليه المسلمون فرحين بالتوبة عليه من الله، وأرادوا أن يحلوا وثاقه ولكنه أبى أن يحلوا رباطه وقال:

- لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ.

فلما خرج الرسول ﷺ إلى صلاة الفجر حله من رباطه.

وهكذا نال عفو الرسول ﷺ وتوبة الله سبحانه وتعالى، رضي الله عن أبي لبابه وأرضاه.

❀❀❀

(١) سورة التوبة: ١٠٢.

(٥٧) حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

صحابي جليل.. شهد غزة بدر الكبرى، فكتب مع البدريين الذين غفر الله لهم واطلع عليهم وقال لهم: ((اعملوا ما شئتم، فإني غافر لكم))[(١)].

كان من التجار المعروفين في مكة، أسلم وهاجر، قال عنه الحاكم في المستدرك: كان حسن الجسم، خفيف اللحية، أقرب إلى القصر، شثن الأصابع

– أي ضخم الأصابع.-

شهد له رسول الله ﷺ بالجنة والنجاة من النار، وذلك حين شكاه عبدًا له فقال لرسول الله ﷺ: يا نبي الله، ليدخلن النار!

قال ﷺ: ((كذبت لا يدخلها أبدًا وقد شهد بدرًا والحديبية)). رواه مسلم والحاكم.

وقصة حاطب كما ترد بها كتب السيرة أنه أرسل إلى الكفار بقريش رسالة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد تجهز لغزوهم وفتح مكة، وكان ﷺ قد أخفى خبر غزوة مكة،وأخبر بذلك أصحابه وجميع المسلمين حتى يفاجئ أهل مكة، وأرسل حاطب رسالة مع امرأة مسافرة إلى مكة، وجاء الوحي لرسول الله ﷺ بما فعله حاطب، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام – رضي الله عنهما– وقال لهما:

– انطلقا حتى تدركا امرأة معها كتاب فأتياني به.

فخرجا في أثر المرأة حتى لقياها، وطلب الكتاب ورفضت المرأة أن تعطيهما الكتاب وأنكرت، فهددها علي بن أبي طالب أن ينزع عنها ثوبها حتى

(١) الحديث أصله في الصحيحين رواه البخاري في الجهاد باب الجاسوس، ومسلم في فضائل الصحابة، سيأتي نصه في سيرة هذا الصحابي.

يأتي بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فقالت المرأة لهما:

ألستما مسلمين؟

قالا: بلى، ولكن رسول الله حدثنا أن معك كتابًا.

فحلته من رأسها، فتركاها.

وعادا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، ودعا حاطبًا حتى قرئ عليه الكتاب، فاعترف، فقال: ما حملك؟ قال حاطب: كان بمكة قرابتي وولدي، وكنت غريبًا فيكم معشر قريش.

فقال عمر بن الخطاب: أئذن لي يا رسول الله في قتله؟

قال: لا، إنه قد شهد بدرًا، وإنك لا تدري، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فإني غافر لكم))[(١)].

وعفا عنه الرسول ﷺ ونزلت فيه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ...﴾.

وأرسله الرسول ﷺ إلى المقوقس صاحب مصر وحاكمها في رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فأرسل المقوقس هدية إلى رسول الله ﷺ ولم يسلم وكان ضمن الهدية جارتين أختين أحدها مارية القطبية التي اتخذها النبي ﷺ لنفسه وأنجبت له ولده إبراهيم الذي توفي صغيرًا قد جاوز العامين...

وتوفي حاطب رضي الله عنه عام ٣٠ هـ رضي الله عنه وأرضاه..

❁❁❁

(١) الحديث رواه الحاكم في معرفة الصحابة، ورواه البخاري ومسلم، وذكرناه هنا بتصرف في الرواية.

(٥٧) حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

صحابي جليل.. شهد غزة بدر الكبرى، فكتب مع البدريين الذين غفر الله لهم واطلع عليهم وقال لهم: ((اعملوا ما شئتم، فإني غافر لكم))(١).

كان من التجار المعروفين في مكة، أسلم وهاجر، قال عنه الحاكم في المستدرك: كان حسن الجسم، خفيف اللحية، أقرب إلى القصر، شثن الأصابع

- أي ضخم الأصابع.-

شهد له رسول الله ﷺ بالجنة والنجاة من النار، وذلك حين شكاه عبدًا له فقال لرسول الله ﷺ: يا نبي الله، ليدخلن النار!

قال ﷺ: ((كذبت لا يدخلها أبدًا وقد شهد بدرًا والحديبية)). رواه مسلم والحاكم.

وقصة حاطب كما ترد بها كتب السيرة أنه أرسل إلى الكفار بقريش رسالة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد تجهز لغزوهم وفتح مكة، وكان ﷺ قد أخفى خبر غزوة مكة،وأخبر بذلك أصحابه وجميع المسلمين حتى يفاجئ أهل مكة، وأرسل حاطب رسالة مع امرأة مسافرة إلى مكة، وجاء الوحي لرسول الله ﷺ بما فعله حاطب، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام - رضي الله عنهما- وقال لهما:

- انطلقا حتى تدركا امرأة معها كتاب فأتياني به.

فخرجا في أثر المرأة حتى لقياها، وطلب الكتاب ورفضت المرأة أن تعطيهما الكتاب وأنكرت، فهددها علي بن أبي طالب أن ينزع عنها ثوبها حتى

(١) الحديث أصله في الصحيحين رواه البخاري في الجهاد باب الجاسوس، ومسلم في فضائل الصحابة، سيأتي نصه في سيرة هذا الصحابي.

يأتي بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فقالت المرأة لهما:

ألستما مسلمين؟

قالا: بلى، ولكن رسول الله حدثنا أن معك كتابًا.

فحلته من رأسها، فتركاها.

وعادا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، ودعا حاطبًا حتى قرئ عليه الكتاب، فاعترف، فقال: ما حملك؟ قال حاطب: كان بمكة قرابتي وولدي، وكنت غريبًا فيكم معشر قريش.

فقال عمر بن الخطاب: أئذن لي يا رسول الله في قتله؟

قال: لا، إنه قد شهد بدرًا، وإنك لا تدري، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فإني غافر لكم))(١).

وعفا عنه الرسول ﷺ ونزلت فيه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ** ....﴾.

وأرسله الرسول ﷺ إلى المقوقس صاحب مصر وحاكمها في رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فأرسل المقوقس هدية إلى رسول الله ﷺ ولم يسلم وكان ضمن الهدية جارتين أختين أحدها مارية القطبية التي اتخذها النبي ﷺ لنفسه وأنجبت له ولده إبراهيم الذي توفي صغيرًا قد جاوز العامين...

وتوفى حاطب رضي الله عنه عام ٣٠ هـ رضي الله عنه وأرضاه..

❁❁❁

(١) الحديث رواه الحاكم في معرفة الصحابة، ورواه البخاري ومسلم، وذكرناه هنا بتصرف في الرواية.

(٥٨) كعب بن مالك رضي الله عنه

(٥٩) هلال بن أمية رضي الله عنه (٦٠) مرارة بن الربيع رضي الله عنه

هؤلاء هم الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك دون عذر، كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

إنهم ثلاثة من كبار الصحابة، ذكر قصتهم أصحاب السير والسنن مثل البخاري ومسلم وغيرهما.

والقصة في كتب التفسير جاء في سياق تفسير الآية ١١٨ من سورة التوبة:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

والقصة كما يرويها كعب بن مالك نفسه فيقول:

– لم أتخلف عن رسول الله في غزاة غزاها قط، إلا في غزاة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش فجمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حتى تواثقنا على الإسلام وما أحسب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك إني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفنا عنه في تلك الغزاة، والله ما جمعت راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل

سفرًا بعيدًا ومفاوز وعدوا كثيرًا فجلى للمسلمين أمرهم أن يتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ[1].

ويستكمل مالك قصته عن تخلفه في تلك الغزوة رغم إمكانيته المالية والجسدية، وتقاعس كسلاً، وكان الذين تخلفوا قرابة ثمانين رجلاً وبضعًا، منهم الضعفاء والفقراء والمنافقين والثلاثة الذين تخلفوا وليسوا بفقراء ولا منافقين وهم كعب بن مالك وصاحبيه أصحاب قصتنا هذه، وفي تبوك سأل رسول الله ﷺ من حوله من الصحابة: – ما فعل مالك؟

فقال رجل من بني سلمة: حبسه يا رسول الله برده والنظر إلى عطفيه.

فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا.

وسكت رسول الله ﷺ.

وحين عاد جيش المسلمين من تبوك منصورًا بإذن الله بالرهبة حيث انسحب الروم من لقاءهم وقذف الله في قلوبهم الرعب من رسول الله ﷺ وجنود الحق، جاء المخلفون من المنافقين يكذبون على رسول الله ﷺ ويطلبون أن يقبل عذرهم وقبل عذرهم، ولكن كعب بن مالك وهلال ابن أمية ومرارة بن الربيع الذين تخلفوا كسلاً وليس نفاقًا استشعروا خطأهم، جاءوا إلى رسول الله ﷺ وأقروا أنهم تخلفوا دون عذر وأنهم تابوا حتى أن كعب ابن مالك قال لرسول الله ﷺ حين سأله عن سبب تخلفه وقال: ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهرًا[2].

فقال كعب له: يا رسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن

(١) يريد الديوان الذي يكتب فيه أسماء الجند.

(٢) يقصد الراحلة.

حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك بصدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو عقبى ذلك من الله عز وجل، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك.

وجاء مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي فقالا مثل ما قال كعب بن مالك وكانا قبله وقد شهدا بدرًا.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين أن يكلموا الثلاثة، فاجتنبوهم، وظل الأمر هكذا خمسين ليلة، واستكانا كل من مرارة بن الربيع وهلال بن أمية في بيوتهما وظلا يبكيان، ولكن كعب ظل يخرج يصلي في المسجد ويخرج إلى السوق ولكن أحدًا لا يكلمه، وضاقت الأرض بما رحبت على هؤلاء الثلاثة.

وزاد الأمر شدة أن أمر الرسول ﷺ نساء هؤلاء الثلاثة ألا يعاشروهم ويهجروا فرشهم وبيوتهم.

خمسون ليلة.. حتى جاء الفرج والعفو من الله في قرآن يتلى إلى يوم القيامة:

﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا** ...﴾ وكانوا كلهم من الأنصار، وجاء البشير إلى كعب بقوله بأعلى صوته :

– أبشر يا كعب بن مالك.

فخر كعب ساجدًا لله وعرف أن الفرج من الله قد جاء بالتوبة عليهم، وأذن الرسول ﷺ بتوبة الله حين صلى الفجر، وأعطى كعب بن مالك ثوبه إلى البشير، وكان لا يملك سوى ثوبه الذي أهداه إلى البشير فاستعار ثوبين فلبسهما كي يذهب إلى رسول الله ﷺ بالمسجد والناس من حوله، وقام طلحة يهنئه بالتوبة عليه من الله، وجلس كعب إلى رسول الله ﷺ يقول له:

– يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله.

فقال له: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.

وهكذا نجا الثلاثة بصدقهم ونالوا عفو الله وعفو رسوله ﷺ.

رضي الله عنهم وأرضاهم.

❀❀❀

(٦١) أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف ((مالك بن قيس)) رضي الله عنه

كان أبو خيثمة قد تخلف أيامًا عن الذهاب مع الجيش لتبوك، ثم إنه رجع إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها[1]، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول ﷺ في الضَّحِّ والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف!، والله لا أدخل العريش على واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيئا لي زادًا.

وبالفعل تجهز أبو خيثمة وانطلق يلحق بالجيش، وقد أدرك في الطريق عمير ابن وهب فترافقنا في الطريق حتى وصلا إلى تبوك.

وقال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل.

فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة.

فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أبو خيثمة أقبل وسلم على رسول الله ﷺ فقال له:

- أولى لك يا أبا خيثمة.

وأخبر أبو خيثمة ما حدث له وما فعله وتوبته واعتذاره، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بالخير وعفا عنه.

وقال أبو خيثمة:

لما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أعف وأكرما

---

(١) العريش هوما يستظل به، الضَّحّ: الشمس.

وبايعت باليمنى يدي محمد فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما

وهكذا نجا أبو خيثمة من الويل والهلاك وعفا عنه الرسول الكريم ﷺ .

❁❁❁

(٦٢) بديل بن ورقاء (٦٣) طليق بن سفيان بن أمية

(٦٤) خالد بن أسيد بن العيص بن أمية
(٦٥) أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عبد الدار

(٦٦) عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار

كلهم من المؤلفة قلوبهم من مسلمة بالفتح، ولكن بديل بن ورقاء تميز عنهم أنه أسلم مع أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام حين خرجوا ثلاثتهم يتحسسان الأخبار ليلة فتح مكة، فلقيهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقادهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وأسلموا، وقد تألف الرسول ﷺ هؤلاء وأعطاهم من غنائم حنين مائة من الإبل لكل واحد، وقد حسن إسلامهم وكانوا جند الله الذين فتحوا البلاد رضي الله عنهم.

❁❁❁

(٦٧) جرير بن عبد الله البجلي

(٦٨) وأبو بكرة نقيع بن الحارث رضي الله عنهما
(٦٩) ركانة بن يزيد بن هاشم رضي الله عنه

جرير بن عبد الله البجلي

صحابي جليل أسلم في السنة العاشرة من الهجرة في رمضان بعد نزول سورة المائدة كما أورده ابن كثير في تاريخه.

جاء والرسول ﷺ يخطب على المنبر فقال في خطبته: إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن. وإن عليه مسحة ملك؟ فلما دخل المسجد نظر الناس إليه فكان كما وصفه ﷺ.

وأرسله النبي ﷺ إلى دوس كي يهدم صنمًا يسمى ذي الخلصة وكان يعبد من دون الله في الجاهلية، فذكر أنه لا يثبت على الخيل فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا.

فذهب إلى الصنم وهدمه.

وكان عمر يقول عنه: جرير يوسف هذه الأمة.

توفى عام ٥١ هـ رضي الله عنه.

أبو بكرة نقيع بن الحارث

صحابي جليل كان اسمه مسروح وسمي أبو بكرة لأنه تدلى في بكرة يوم غزوة الطائف.

وأعتقه رسول الله ﷺ ، وكان قد فرّ إلى المسلمين يومها. توفي عام ٥١ هـ رضي الله عنه.

ركانة بن عبد يزيد

ركانة بن عبد العزيز بن هاشم بن عبد المطلب القرشي وهو الذي صارعه الرسول ﷺ بمكة وصرعه رغم أنه كان من أشد الرجال، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم، ثم شمله عفوه يوم فتح مكة وأسلم وحسن إسلامه ومات عام ٤١هـ.

وكان ركانة من أشد رجال قريش قوة، وقد صرعه الرسول ﷺ مرتين في إحدى شعاب مكة على أن يؤمن به إن صرعه، ولكن أبىٌ وقال:

يا محمد والله أن هذا للعجب أن تصرعني.

فقال له ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه أن اتقيت الله واتبعت أمري.

قال: ما هو؟

قال: ادعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني.

قال ركانة: ادعوها.

فدعاها رسول الله ﷺ ، فأقبلت حتى وقفت بين يديه ثم قال لها: ارجعي إلى مكانك. فرجعت إلى مكانها.

ورغم ذلك لم يؤمن ركانة يومها وذهب إلى قومه فقال لهم: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط.

ولكنه أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ؓ.

❀❀❀

(٧٠) الحكم بن كيسان ؓ (٧١) عثمان بن عبد الله

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش ؓ في سرية ومعه ثمانية من المهاجرين، في شهر رجب إلى منطقة قرب مكة تسمى «نخلة» ومرت عير لقريش وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان.

وعثمان بن عبد الله. ونوفل بن عبد الله بن مخزوم، وكان اليوم نهاية الشهر الحرام، ودار القتال بين الطرفين وقتل عمرو بن الحضرمي وفرّ نوفل بن عبد الله إلى مكة وأسر الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله.

وعادت السرية إلى المدينة ومعها الأسيرين والعير والتجارة، وغضب الرسول ﷺ من أصحابه لأنه لم يأمرهم بالقتال وهم بالشهر الحرام.

ولكن قريش أرسلت في طلب الأسيرين وفداءهما، ولكن الرسول ﷺ تركهما وعفا عنهما، فأسلم الحكم بن كيسان وعاد عثمان بن عبد الله إلى مكة وظل على كفره ومات بها.

وعاش الحكم بن كيسان بالمدينة مع الرسول ﷺ حتى مات شهيدًا يوم بئر معونة شهيدًا رضي الله عنه وأرضاه.

❀❀❀

(٧٢) الحنظلية أم أبي جهل

هي أسماء بنت مخرمة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك من بني تميم.

ابنها أبو جهل الحكم بن هشام عليه لعنة الله. أسلمت يوم الفتح، وعاشت بالمدينة وكانت عطارة تبيع العطر لأهل المدينة.

عاشت حتى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

❀❀❀

(٧٣) زهير بن أبي أمية بن المغيرة رضي الله عنه

شارك قريش عداوتها للإسلام حتى يوم الفتح، هرب هو والحارث بن هشام واستجدا بأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، فدخل عليها أخيها علي بن أبي طالب يريد قتلهما، فأغلقت عليهما الباب، وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة وكان يغتسل وابنته فاطمة تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات من الضحى، ثم جاء إلى أم هانئ وقال: مرحباً وأهلاً أم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر أخيها علي بن أبي طالب ﷺ فقال لها: قد أجرنا من أجرت وأمنّا من أمنت، فلا يقتلهما.

وهكذا عفا عنهما الرسول ﷺ وأسلما وحسن إسلامهما.

❀❀❀

(٧٤) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ابن عبد شمس رضي الله عنه

من مسلمة الفتح، ناله عفو الرسول الكريم ﷺ، ثم أسلم وحسن إسلامه.

وكان بالكعبة يجلس مع الحارث بن هشام يوم فتح مكة وبلال رضي الله عنه يؤذن وقد ارتقى فوق الكعبة، فقال عتاب بن أسيد لهشام بن الحارث: لقد أكرم الله أسيدًا - أخوه - ألا يكون سمع هذا - يقصد بلال - فيسمع ما يغيظه.

فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته.

فقال أبو سفيان بن حرب: لا أقول شيئًا، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى.

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: قد علمت الذي قلتم، ثم ذكر ذلك لهم، فقالا الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

وهكذا كان إسلام عتاب رضي الله عنه بعد عفو الرسول الكريم ﷺ وقد أمر رسول الله ﷺ أسيد على مكة حين خرج إلى لقاء هوزان وثقيف في حنين، وحج أسيد بالمسلمين عام ٨هـ عام الفتح رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

(٧٥) الحارث بن مالك (٧٦) نوفل بن معاوية ابن عروة رضي الله عنهما

من مسلمة الفتح الذين عفا عنهم الرسول ﷺ.

يروى ابن هشام في السيرة أنه أي الحارث بن مالك قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية، فسرنا معه إلى حنين وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يومًا. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط.

قال ﷺ: الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون. إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم.

وحسن إسلامه رضي الله عنه.

نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن رزن بن يعمر بن ثقافة بن عدي بن الديل:[1]_

من مسلمة الفتح الذين عفا عنهم النبي ﷺ، شارك في غزوة حنين وتألفه الرسول ﷺ فأعطاه من إبل الغنائم مثل غيره من أهل قريش يوم الجعرانة رضي الله عنهم.

❁❁❁

(١) السيرة لابن هشام.

(٧٧) علقمة بن عوف بن الأحوص من بني كلاب

(٧٨) لبيد بن ربيعة بن مالك من بني كلاب

(٧٩) عباس بن مرداس بن أبي عامر.

(٨٠) علقمة بن عوف بن الأحوص.

(٨١) لبيد بن ربيعة بن مالك.

(٨٢) خالد بن هوذة بن ربيعة.

(٨٣) حرملة بن هوذة بن ربيعة.

(٨٤) أصبحة بن أمية بن خلف.

(٨٥) مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة.

جميعهم من مسلمة الفتح الذين عفا عنهم الرسول ﷺ، وخرجوا معهم للقاء أعدائه من هوازن وثقيف في حنين.

تألفهم الرسول ﷺ وأعطاهم من الغنائم كي يحسن إسلامهم.

وقد أعطى ﷺ عباس بن مرداس من الغنائم فسخطها وعاتب فيها رسول الله ﷺ فقال:

كانت نهابا تلافيتُها … بكرى على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا … إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد … بين عيينة والأقرع[1]

فقال رسول الله ﷺ حين سمع شعره:

- اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه.

فأعطوه من الغنائم حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به الرسول ﷺ.

وذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له أنت القائل:

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعينية؟

فقال أبو بكر الصديق: بين عيينة والأقرع؟

فقال رسول الله ﷺ: هما واحد.

فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾[2].

---

(١) السيرة لابن هشام.

(٢) لم ينطق الرسول ﷺ الشعر موزوناً لأنه لا يقول الشعر وقد صححه له أبو بكر الصديق، فهو ﷺ لا يقول الشعر كما قال الله تعالى عنه.

(٨٦) زهير أبو صرد من بني سعد بن بكر وسبايا هوازن:

(٨٧) ريطة بنت هلال بن حبان.

(٨٨) زينب بنت حيان بن عمرو

(٨٩) جارية عبد الله بن عمرو

(٩٠) عيينة بن حصن

بعد غزوة حنين ونصر الله لرسوله ﷺ والمسلمين في تلك المعركة الهامة في التاريخ الإسلامي، هاجر النبي ﷺ الطائف ثم انصرف عنها حتى نزل الجعرانة، وقال رجل من أصحاب الرسول ﷺ:

– يا رسول الله، ادع عليهم.

فقال الرسول ﷺ:

– اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم.

وأتاه وفد هوازن بالجعرانة، وقد أسلموا، ومع رسول الله ﷺ سبي هوازن ستة آلاف من النساء والذراري ومن الإبل والشاة ما لا يدري عدته، فقالوا له: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فأمنن علينا، مَنَّ الله عليكَ.وقام رجل من هوازن من بني سعد بن بكر اسمه زهير

أبو الصرد فقال:

يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين(١).

فقال رسول الله ﷺ: أبناءكم ونساءكم أحق إليكم أم أموالكم؟

فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا.

فقال لهم: ما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين. وبالمسلمين إلى رسول الله في أبناءنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم.

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به.

فقال الرسول ﷺ: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم.

فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا.

وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا(٢).

وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا.

فقال بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

فقال عباس بن مرداس لبني سلم: وهنتموني.

---

(١) السيرة لابن هشام.

(٢) الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس كانوا من مسلمة الفتح وكانوا يومها حديثي عهد بالإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله كل إنسان ست فرائض. من أول سبي أصيبه.

فردوا إلى الناس من هوازن أبناءهم ونساءهم وهكذا كان عفو ورحمة رسول الله ﷺ أصابت أكثر من ستة آلاف من النساء والأطفال من السبي إلى الإسلام. ﷺ.

وكان من السبي ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة كانت لعلي بن أبي طالب.

وكان منهم أيضا زينب بن حيان وكانت من نصيب عثمان بن عفان.

وجارية كانت من نصيب عمر بن الخطاب أعطاها إلى ابنه عبد الله الذي عفا عنها وتركها بعد عفو رسول الله ﷺ لأهلها.

وأما عيينة بن حصن فكان نصيبه من السبي عجوز، وأراد فداءها فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد، ولا درها بماكد[١].

فردها عيينة بن حصن ورضي بالست فرائض التي جعلها الرسول ﷺ لمن أراد الفداء بمقابل.

وهكذا شملهم عفو الرسول ﷺ ودخلوا في الإسلام.

❁❁❁

(١) السيرة لابن هشام، والواجد: الحزين، والماكد: الغزير، وهو يقصد إنها لا أهمية لها عندهم فلذلك ردها.

(٩١) مالك بن عوف زعيم ثقيف رضي الله عنه

حارب رسول الله ﷺ وتزعم قومه يوم حنين ثم هرب إلى الطائف وتحصن بها هو وقومه من ثقيف.

وبعد حصار الطائف وعودة الرسول ﷺ إلى الجعرانة دعا لهم الرسول ﷺ بالهداية والإسلام فقال: اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم[١].

وحين جاءه وفد هوازن مسلمين وكانوا شركاء ثقيف في حربهم للمسلمين يوم حنين سألهم النبي ﷺ عن مالك بن عوف فقالوا له:

- هو بالطائف مع ثقيف.

فقال لهم: أخبروا مالك أنه إن أتاني مسلمًا رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل.

فأتاه مالك بعد أن عفا عنه رسول الله ﷺ مسلمًا، وأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين وحسن إسلامه رضي الله عنه.

وقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدِي ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد

واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وهم ثمالة وسلمة رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

(١) السيرة لابن هشام.

(٩٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر

رضي الله عنه

كان كعب بن زهير من شعراء الجاهلية الكبراء المشهورين، وكان ممن يهجو بشعره رسول الله ﷺ، ولما فتح الله على رسوله مكة ثم حنين ثم عاد من حصار الطائف، كتب أخو كعب بن زهير وهو بُجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله ﷺ قد قتل بمكة كل من كان يهجوه ويؤذيه، ولم يبق من شعراء قريش إلا ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب، وقد هربوا بأنفسهم في الأرض، ونصحه أن ينجو بنفسه فيذهب إلى رسول الله ﷺ تائبًا مسلمًا فإنه لا يقتل من جاءه مسلمًا تائبًا.

ولما بلغت رسالة بجير بن زهير إلى كعب بن زهير حزن حزنًا شديدًا وقال له من حوله: إنك مقتول.

ولكنه رجى عفو رسول الله ﷺ كما أخبره أخوه أنه لا يقتل من يأتيه تائبًا، فعقد العزم أن يذهب إليه إلى المدينة وأنشد قصيدة يمدح فيه رسول الله، وقدم إلى المدينة على رجل من الأنصار يعرفه من جهينة، وفي الصباح ذهب كعب مع صديقه بعد صلاة الصبح، وجلس كعب بن زهير بين يدي رسول الله ﷺ، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به.

قال الرسول ﷺ : نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

وأنشد كعب بن زهير بين يدي الرسول ﷺ قصيدته الشهيرة.

((بانت سعاد))

مطلعها يقول فيه:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول(١)

ويروى ابن إسحاق أن رجل من الأنصار وثب على كعب وقال:

يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه.

فقال له رسول الله ﷺ : دعه عنك فإنه قد جاء تائبًا نازعًا عما كان عليه.

وهكذا نجا كعب بن زهير من الهلاك بعفو رسول الله ﷺ عنه.

وحسن إسلامه رضي الله عنه.

❁❁❁

(١) **مكبول:** أسود الجنون، **بانت:** فارقت فراقًا بعيدًا **متيم:** ذليل مستعبد، متبول أسقمه الحب.

(٩٢) مخشَّن بن حُمير رضي الله عنه

كان من المنافقين الذين تاب الله عليهم وحسن إسلامهم.

وقد خرج مع رهط من المنافقين في غزوة تبوك قال ابن هشام: يقال له حشى فقال المنافقون وفيهم مخشن هذا:

أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال.

قالوا ذلك للمؤمنين يخوفونهم من حرب الروم.

ونزل فيهم قرآن رب العزة يفضح قولهم.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[١].

فقال مخشن بن حمير حين نزلت الآيات:-

- والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآنًا لمقالتكم هذه.

وذهب المنافقون إلى رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال قائل منهم وهو وديعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية.

وقال مخشن بن حُمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي.

(١) الآيات من سورة التوبة: ٦٤-٦٦.

وتاب وعفا عنه الرسول ﷺ وقبل توبته وتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا، لا يعلم بمكانه، وبالفعل استجاب الله دعوته ومات شهيدًا يوم اليمامة ولم يجد له أثرًا رضي الله عنه.

❀❀❀

(٩٤) الجلاس بن سويد رضي الله عنه

تذكر كتب السيرة والتفسير أن الجلاس بن سويد بن الصامت كان من المنافقين الذين تابوا وحسن إسلامهم، وكان قد قال: والله لئن كان هذا الرجل - يقصد الرسول ﷺ - صادقًا فيما يقول لنحن شر من الحمير.

وسمع مقالته ابن زوجته عمير بن سعد فقال:

- والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليَّ وأحسنهم عندي بلاء وأعزهم على أن يصله شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لأن ذكرتها لتفتضحن ولئن كتمتها لتهلكني ولأحدهما أهون عليَّ من الأخرى.

وذهب عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ وذكر له ما قاله زوج أمه جلاس ابن سويد، وعلم الجلاس بذلك فذهب إلى رسول الله ﷺ وحلف له أنه لم يقل ذلك.

فأنزل الله تعالى قوله:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١].

وهكذا نزلت الآية تكذب الجلاس وتصدق عمير بن سعد، فتاب الجلاس وعفا عنه الرسول ﷺ وحسن إسلامه ونجا بنفسه رضي الله عنه.

(١) سورة التوبة: ٧٤.

(٩٥) عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين

كان قبل هجرة الرسول ﷺ يستعد لتنصيبه ملكًا على الأوس والخزرج بالمدينة، فلم قدم النبي ﷺ وأسلم أهل المدينة إلا القليل منهم أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر وكان زعيمهم هو الملك الذي لم يتوج عبد الله بن أبي بن سلول وظل زعيم المنافقين يكيد للإسلام في مواطن كثيرة وله مواقف كثيرة آذى فيها الرسول ﷺ وتاريخه مليء بتلك المواقف السوداء، وكان أشدها يوم اتهم أم المؤمنين عائشة بالإفك والفاحشة، وفي كل مواقفه العدائية لرسول الله ﷺ يعفو عنه ويتركه رغم أنه كان يستحق القتل على كل أفعاله.

ونزل قول الله تعالى في المنافقين:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وحين حضرت الوفاة زعيم المنافقين أرسل إلى رسول الله ﷺ، فلما دخل عليه قال له النبي ﷺ «**أهلكك حب يهود**».

قال عبد الله بن أبي: يا رسول الله، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتؤنبني.

ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه، فأعطاه إياه وصلى عليه وقام على قبره[١].

فأنزل الله تعالى قوله:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ

(١) تفسير ابن كثير سورة التوبة.

وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

وجاء أيضًا أن الذي طلب قميص رسول الله ﷺ ليكفن فيه زعيم المنافقين هو ابنه عبد الله، وجاء في التفسير لابن كثير وغيره أن الرسول ﷺ قام ليصلي عليه فقام إليه عمر بن الخطاب ؓ فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟

فقال له: إنما خيرني الله فقال:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وسأزيده على السبعين

قال: إنه منافق[2].

ثم صلى عليه الرسول ﷺ وقام على قبره فنزلت الآية بعد ذلك بالنهي عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم.

وأخرج الإمام أحمد في المسند وذكره ابن كثير في التفسير أن رسول الله ﷺ حضر دفن زعيم المنافقين وكان قد أدخل في حفرته فأمر فأخرج منها ثم نقل عليه من ريقه على قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه. ووضعه على ركبتيه.

وهذا لا يعني أن عفو الرسول ﷺ وصلاته عليه وإلباسه قميصه قد غفر الله له، فالعلم عند الله وقد جاء قوله في آخر الآية ﴿... **إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[3].

فالعبرة بالخاتمة ونحن نذكر في هذا الكتاب أسماء الذين عفا عنهم الرسول ﷺ بغض النظر عن كونهم من أصحاب النار أو الجنة.

(١) سورة التوبة: ٨٤.
(٢) ابن كثير في التفسير.
(٣) سورة التوبة: ٨٤.

(٩٦) أكيدر بن عبد الملك

هو ملك كندة قرب الشام ناحية تبوك، كان نصرانيًا، وحين أقام الرسول ﷺ بتبوك أرسل خالد بن الوليد ؓ إليه وقال له:

إنك ستجده يعبد البقر.

وذهب إليه خالد بن الوليد، وكان الرجل في حصنه وعلى سطحه شاهد بقره تحك بقرونها باب القصر، فأعجبه منظر البقرة وحسنها، فنزل إليها كي يصيدها وركب معه نفر من أهله، فلقيهم خالد بن الوليد فقتل أخاه وأسره، وكان عليه ديباج مخوص من ذهب، فاستلبه منه وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

ولما رأى المسلمون لباس أكيدر، جعلوا يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال لهم الرسول ﷺ :

– أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.

ثم أتى خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن دمه وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله وعاد إلى قريته وحصنه وقصره[1].

ولكنه لم يسلم وبقى على دينه رغم عفو الرسول ﷺ عنه.

(١) السيرة لابن هشام بتصرف.

(٩٧) عروة بن مسعود الثقفي

حاربت ثقيف رسول الله ﷺ في حنين ولم تسلم رغم إسلام هوازن.. وعقب عودة النبي ﷺ من تبوك جاءه عروة بن مسعود وأسلم وعفا عنه، وسأل عروة الرسول ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام. ولكن النبي ﷺ حذره أن قومه يردن قتله.

فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهن.

وكان عروة فيهم محبوبًا مطاعًا، وذهب إليهم عروة يدعوهم إلى الإسلام، فخرجوا عليه ورموه بسهم فقتل، وقال قبل موته حين سألوه: ما ترى في دمك؟

قال: كرامةٌ أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم، فادفنوني معهم.

وزعموا كما قال ابن هشام في السيرة أن رسول الله ﷺ قال فيه:

إن مَثَلِهِ في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه.

لأنه دعى قومه إلى الإيمان فقتلوه رضي الله عنه وأرضاه.

❁❁❁

وفد ثقيف للرسول ﷺ

(٩٨) عبد ياليل بن عمرو

(٩٩) الحكم بن عمرو بن وهب

(١٠٠) شرحبيل بن غيلان

(١٠١) أوس بن عوف

(١٠٢) نمير بن خرشة بن ربيعة

بعد مقتل عروة بن مسعود بشهر أدركت ثقيف أنها لا طاقة لها بحرب الرسول ﷺ ، فأرسلت وفدًا لها برئاسة عبد ياليل بن عمرو الذي خشي أن يذهب بمفرده فيفعلون معه كما فعلوا مع عروة بن مسعود، فأخذ معه من أشرافهم الحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب وعثمان بن أبي العاص بن بشر وأوس بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة.

وقدموا المدينة، وطلبوا الصلح والعفو من رسول الله ﷺ وأسلموا وكتب لهم كتابًا بذلك وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان أصغرهم سنًا ولكن رأى فيه حرصًا على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن وقد ذكرنا سيرته في هذا الكتاب مفردًا وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يترك صنمًا لهم يسمى اللات يعبدونه ثلاثة أعوام أو عام واحد أو أقل فرفض ذلك وأبى عليهم أن يدعه، وبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة كي يهدما هذا الطاغية ((اللات)).

وطلبوا منه أن يعفيهم من الصلاة فأبى ذلك وأخبرهم فقال: أما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه.

وهكذا دخلت ثقيف الإسلام وهدم أبو سفيان والمغيرة بن شعبة اللات وكان ذلك آخر ما عاهد ثقيف. وكان ذلك في شهر رمضان عقب عودته من تبوك.

كلمة أخيرة

لعلنا عزيزي القارئ قد أضفنا إلى معلوماتك الإسلامية شخصيات من صحابة الظل كلهم شاركوا في عداوة الإسلام، وكان عفو الرسول ﷺ لهم بمثابة تاريخ ميلاد جديد لهم، وحسن إسلامهم وسجل أسماءهم في سجلات الكفاح والجهاد، لكن الكثير من الناس لا يعرفونهم، لكن خالقهم أعلم بهم ومنهم من لم يستفد بعفو النبي ﷺ وماتوا على الكفر والنفاق.

ولعل هذا الكتاب جديد في مادته وفكرته، ونرجو أن يكون قد أسهم في إضافة الكثير من سيرة هؤلاء الصحابة الكرام الذين نسميهم صحابة الظل.

ولعلنا ندرك من خلال صفحات هذا الكتاب أهمية العفو عند المقدرة، فالعفو لا يكون عند الضعف، فالعفو عند الضعف استسلام.

وهناك أيضًا رجالاً لم يعف عنهم النبي ﷺ لأسباب كثيرة منها عداوتهم لله ورسوله وإيذاءهم الشديد لشخص الرسول ﷺ، ولكن أبناءهم عفا عنهم رسول الله ﷺ وحسن إسلامهم ودافعوا عن دين الإسلام الدين الحق حتى لحقوا بمن سبقهم من الصحابة الذين أسلموا قديمًا بمكة وهاجروا.

ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل وسائر أعمالنا وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبد الحكيم محمد

المحامي

القاهرة ت: [illegible]

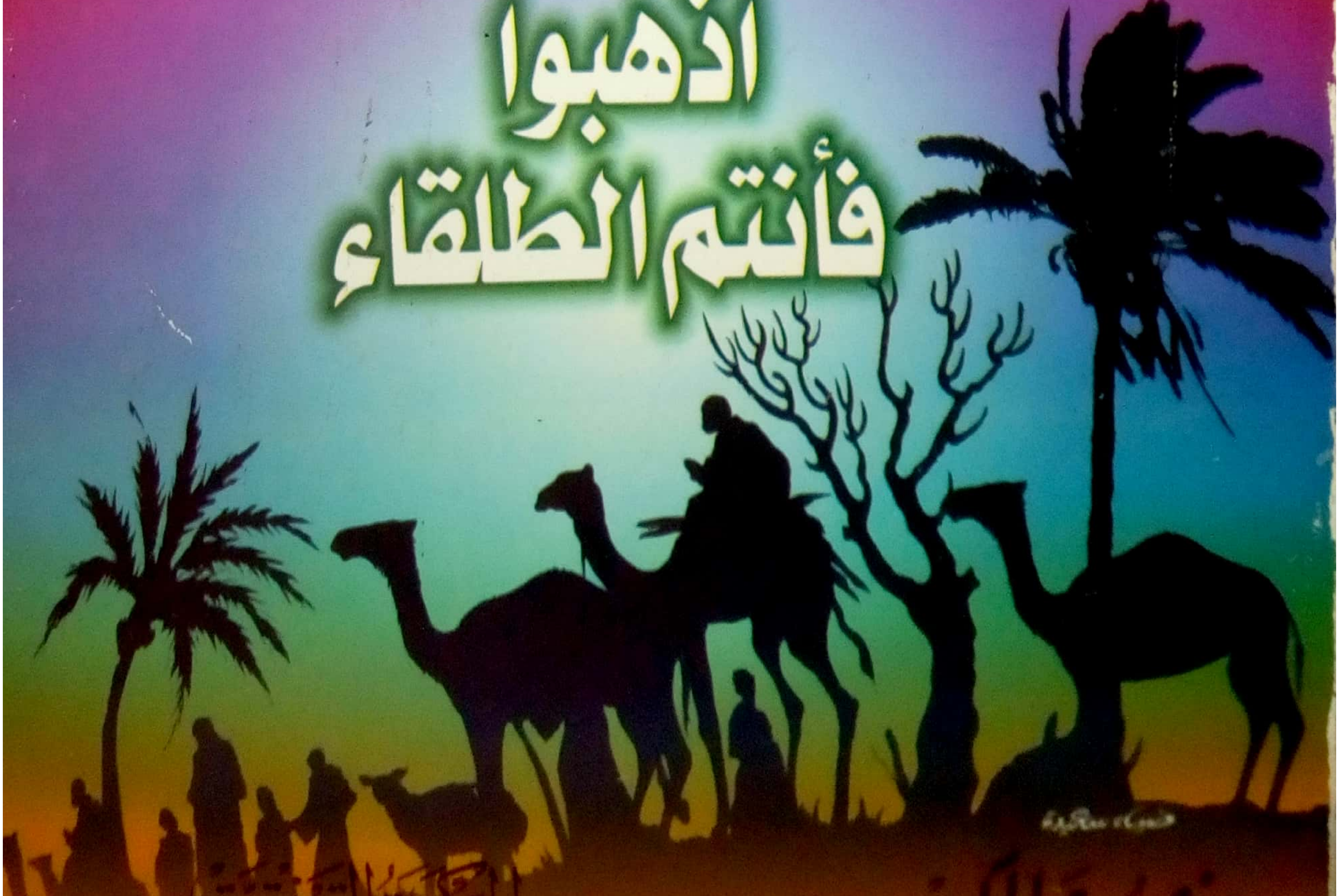
الفهرس العام

الموضوع رقم الصفحة

١٠٠ قصة

رجال ونساء عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم

اذهبوا فأنتم الطلقاء



منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية